

كامل كيلاني



قصص شكسبير

الملك لير



DVDARAB

دارالمعارف

کامل کیلانی

قصہ شکسپیر

المَلِکُ الِیَرْمُ

الطبعة الثانية عشرة



دارالمعارف

تمهيد

١ - قصّة عجوز

كَانَتْ مَمْلَكَةٌ « إِنجِلْتَرَة » - حِينَ وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ - تَمُرُّ بِأَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ (مَصَائِبَ) ، لَا عَهْدَ لَهَا بِأَمْثَالِهَا مِنْ قَبْلُ . وَإِلَيْكَ مَا تَقُصُّهُ عَجُوزٌ نَفِثَتْ (زَادَتْ) عَلَى خَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنَ السَّنِينَ . قَالَتْ الْعَجُوزُ :

« لَعَدَ عِشْتُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا . وَرَأَيْتُ فِي طُفُولَتِي - مِنَ الْكَوَارِثِ وَالْمِحَنِّ - مَا لَمْ يَخْطُرْ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ . وَلَا زِلْتُ أَذْكُرُ تِلْكَ الْعَوَاصِفَ الْهَوِجَ حِينَ أَكْتَسَحَتْ الْغَابَاتِ ، ثُمَّ أَغْصَبَهَا فَيْضَانُ الْأَنْهَارِ ؛ فَاغْرَقَ مِنَ الْبِلَادِ مَا أَغْرَقَ ، وَأَهْلَكَ مِنَ الْحَرْثِ (الزَّرْعِ) وَالتَّنَلِّ (الْأَوْلَادِ) مَا أَهْلَكَ !

لَا أَزَالُ أَذْكُرُ - إِلَى الْيَوْمِ - ذَلِكَ الْمُهْدَ الَّذِي شَهِدْتُهُ فِي طُفُولَتِي ، وَأَتَمَثَّلُ (أَتَصَوِّرُ) حَوَادِثَهُ الْبَعِيدَةَ ، كَأَنَّمَا وَقَعَتْ أَمْسَ . وَلَكِنَّ مَا حَدَثَ فِي هَذَا الْعَامِ ، قَدْ مَعَا - أَوْ كَادَ - كُلَّ

ما استعظمتُهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَاضِيَةِ . وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْمَصَائِبُ الَّتِي
حَلَّتْ بِبِلَادِنَا - فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْبَعِيدِ - إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا تَقِيهَا
(لَا قِيَمَةَ لَهُ) ، إِذَا قِيسَتْ بِمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْعَامِ .

فَقَدْ تَأَلَّبَتْ (تَجَمَّعَتْ) قُوَى الشَّرِّ ، وَاجْتَمَعَتْ الْكَوَارِثُ ،
وَتَتَابَعَتْ الْأَحْدَاثُ ، وَتَفَنَّنَتْ الْأَبَالِسَةُ وَالشَّيَاطِينُ فِي إِغْرَاءِ النَّاسِ
بِضُرُوبِ (أَصْنَافِ) مِنَ الظُّلْمِ وَالْقَسْوَةِ وَالْأَنَانِيَةِ (حُبِّ الذَّاتِ) ،
وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَلْوَانِ الشَّرِّ ، وَأَفَانِينَ الشَّقَاءِ (أَنْوَاعِ الشَّدَّةِ وَالْعُسْرِ) .
وَفِي شِمَالِ « إِنْجِلْتَرَة » طَفَتْ أَمْوَاهُ الْبُحَيْرَاتِ ، وَأَغْرَقَتْ مِنْ
السُّكَّانِ وَالْمَسَاكِينِ آلَافًا .

ثُمَّ جَاءَ الشَّتَاءُ ؛ فَخَرَجَتْ الذُّنَابُ وَأَصْنَافُ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ
مِنْ مَكَامِنِهَا ، وَالتَّهَمَّتِ الْأَغْنَامُ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ ، دُونَ أَنْ تُبَالِيَ
كَائِنًا كَانَ .

وَعَاشَتْ الْخَنَازِيرُ الْبَرِّيَّةُ فِي أَرْقَةِ الْقُرَى ؛ فَمَلَأَتْ الْقُلُوبَ دُغْرًا
(خَوْفًا) ، وَقَسَتْ قُلُوبُ النَّاسِ ، وَنَمَتْ بَيْنَهُمْ بُذُورُ الشَّقَاقِ
وَالْتَفَرِقَةِ ، وَحَلَّ الْخِصَامُ مَحَلَّ الْوِثَامِ (الْوِفَاقِ) . وَسَرَى الْخُلْفُ

بَيْنَ الْأَزْوَاجِ ، ثُمَّ انْتَقَلَتْ عَدَوَاهُ إِلَى الْأَطْفَالِ ؛ فَأَصْبَحَتْ الْبِلَادُ
جَحِيمًا لَا يُطَاقُ .

٢ - مَهْرَجَانُ الْمَلِكِ

هَذَا بَعْضُ مَا قَصَّتهُ عَجُوزُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَرَأَتْهُ رُؤْيَا الْعِيَانِ .
وَقَدْ تَوَخَّيْتُ (تَعَمَّدْتُ) أَنْ أُثْبِتَهُ لَكُمْ - أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعَزَّاءُ -
لَتَعْرِفُوا مَتَى وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ ؟ وَفِي أَيِّ عَهْدٍ - مِنْ عُهُودِ
الْإِضْطِرَابِ - مُثِّلَتْ فُصُولُهَا الْمُخْزِنَةُ ؟

وَكَانَ بَدْءُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمُفْزَعَةِ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ الَّذِي أَقَامَهُ
الْمَلِكُ « لِير » فِي قَصْرِهِ الْكَبِيرِ ، مُنْذُ أَلْفِ عَامٍ .

وَقَدْ أُعْتَزِمَ الْمَلِكُ أَنْ يَقْسِمَ مُلْكَهُ الْعَظِيمَ بَيْنَ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ ،
وَيَرْفَعَ عَنْ كَاهِلِهِ أَعْبَاءَ الْمُلْكِ (أَثْقَالَ الْحُكْمِ) ، وَيُرِيحَ شَيْخُوخَتَهُ ،
وَيَقْضِيَ أَيْامَهُ الْأَخِيرَةَ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ ، وَادِعَ الْخَلْدِ (مُسْتَرِيحِ
الْقَلْبِ) ، نَاعِمَ الْبَالِ .

وَكَانَتْ الْأَنْوَارُ سَاطِعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ ،

تَنَعَّكِسُ أَضْوَاؤُهَا الْبَهِيْجَةُ عَلَى أَعْمِدَةِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَتَصَاوِيرِهِ
الْمُبَدَّعَةِ الْفَنِّيَّةِ . وَهِيَ تُمَثِّلُ أَنْتِصَارَ الْمَلِكِ « لِير » عَلَى أَعْدَائِهِ ، فِي
زَمَنِ صِبَاهُ .

الفصل الأول

١ - عَهْدُ الشَّيْخُوخَةِ

تَبْدَأُ هَذِهِ الْقِصَّةُ حِينَ بَلَغَ الْمَلِكُ « لِير » الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ ،
وَأَصْبَحَ شَيْخًا يَجْمَعُ - إِلَى ضَعْفِ الْجِسْمِ - خَطَلَ الرَّأْيِ (فَسَادُ
التَّفْكِيرِ) ، وَسُوءَ التَّذْيِيرِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ « لِير » - فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ سِنِيهِ -
شَدِيدَ السَّامَةِ وَالضَّجَرِ . وَقَدْ زَهَّدَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ
مَبَاهِجِ الْحَيَاةِ ؛ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّةٍ (رَغْبَةٍ) يَرْجُوهَا ، وَيَأْنَسُ
بِهَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا بَنَاتُهُ الثَّلَاثُ .

وَكَانَ الْمَلِكُ « لِير » يُحِبُّ هَؤُلَاءِ الْبَنَاتِ حُبًّا شَدِيدًا ، وَلَا يُطِيقُ
الصَّبْرَ عَلَى بَعَادِهِنَّ .

٢ - بَنَاتُ الْمَلِكِ « لِير »

وَكَانَتْ فَتَاتَانِ - مِنْ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ - قَدْ زُوِّجَتَا أَمِيرَيْنِ . أَمَّا الثَّالِثَةُ

وَكَانَ الْمُنَاطِلُ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَسَفِ ، كُلَّمَا وَقَعَتْ
عَيْنَاهُ عَلَى هَذَا الْفَتَى الْقَوِيِّ « لِير » ، الْجَرِيءِ الْبَاطِشِ (الْآخِذِ بِعُنْفٍ) ،
الَّذِي تُمَثِّلُهُ تِلْكَ التَّصَاوِيرُ الْمُعْجَبَةُ ، وَقَابَلَهَا بِهَذَا الشَّيْخِ « لِير » ،
الْمَائِلِ (الْوَاقِفِ) فِي الْحَفْلِ ، وَقَدْ جَلَّلَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ ، وَقَوَّسَتْ
قَنَاتُهُ السُّنُونَ (حَنَتْ الْأَعْوَامُ ظَهْرَهُ) ؛ فَانْتَظَمَتِ الرَّغْشَةُ يَدَيْهِ
النَّاحِلَتَيْنِ ، وَأَصْبَحَ يَمْشِي إِلَى الْفَنَاءِ (الْمَوْتِ) ، بِخُطَوَاتٍ سَرِيعَةٍ .
وَقَدْ اجْتَمَعَتْ فِي ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ حَاشِيَةُ الْمَلِكِ وَقَوَّادُهُ وَسَرَاةُ
الْبِلَادِ (رُؤَسَاؤُهَا) ، وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ الْأَمِينُ :
« كُنْتُ » ، وَنَدِيمُهُ (صَاحِبُهُ) الْمُخْتَارُ : « بَهْلُولُ » .

— وهى صُغْرَاهُنَّ — قَدْ جَاءَ الْآنَ مَلِكُ « فَرَنْسَا » وَأَحَدُ أُمَرَاءِ « إِنْجِلْتَرَة » ، وَنَزَلَا ضَيْفَيْنِ عَلَى الْمَلِكِ « لِير » وَأَقَامَا فِي قَصْرِهِ ، وَكَانَ كِلَاهُمَا رَاغِبًا فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ « كُرْدِلِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِهِ . وَأَمَرَ الْمَلِكُ « لِير » بِاسْتِدْعَاءِ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ ، وَقَالَ لَهُنَّ :
« لَقَدْ عَنَّا لِي — يَا بَنَاتِي الْعَزِيزَاتِ — أَنْ أَقْسِمَ مُلْكِي بَيْنَكُنَّ . وَلَكِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ — قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ — مَدَى (مُنْتَهَى) حُبِّكِ إِيَّائِي ، لِأَرَى رَأْيِي . »

٣ — حَدِيثُ « جُنْرِيل »

فَتَقَدَّمَتْ كُبْرَى بَنَاتِهِ ، وَاسْمُهَا « جُنْرِيل » ؛ وَكَانَتْ — عَلَى الْحَقِيقَةِ — امْرَأَةً سَوَاءً (خَيْثَةً) ، تَجْمَعُ — إِلَى رِيَائِهَا النَّادِرِ — لَوْ مَا وَخْبَنًا عَظِيمَيْنِ . وَلَمْ تَكُنْ تُضْمِرُ لِأَبِيهَا شَيْئًا مِنَ الْحُبِّ ، وَلَكِنَّمَا رَأَتْ أَمَامَهَا فُرْصَةً سَانِحَةً لِتَمْلِيْقِهِ (مُخَادَعَتِهِ) وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ ، طَمَعًا فِي الْمِيرَاثِ الَّذِي لَوْحَ (أَشَارَ) لَهَا بِهِ .
فَقَالَتْ لَهُ ، وَهِيَ تَتَظَاهَرُ بِالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ وَالْحَنُوءِ :

« إِنْ حُبِّكَ (مَحَبَّتِي لَكَ) — يَا أَبِي — لِأَجَلٍ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُعَبِّرَ عَنْهُ الْأَلْفَاظُ . كَيْفَ لَا ، وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ إِنْسَانٍ عَيْنِي (سَوَادِهَا وَحَدَقَتِهَا) ، وَأَثْمَنُ لَدَيَّ مِنْ نَفْسِي ، وَحُرِّيَّتِي وَجَمَالِي ، وَصِحَّتِي ! »

فَابْتَهَجَ الْمَلِكُ « لِير » بِسَمَاعِ هَذَا الثَّنَاءِ الزَّائِفِ (الْمَغْشُوشِ) ، وَقَالَ لَهَا مَسْرُورًا :
« مَا دُمْتَ تُجِيبُنِي إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، فَإِنِّي جَدِيرٌ بِأَنْ أَمْنَحَكَ ثُلُثَ مُلْكِي . فَأَنْتِ — فِيمَا أَرَى — حَقِيقَةٌ بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةِ . »

٤ — حَدِيثُ « رِيْجَان »

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى بِنْتِهِ الْوُسْطَى قَائِلًا :
« إِلَى أَيِّ حَدٍّ بَلَغَتْ مَحَبَّتُكَ أَبَاكَ ، يَا رِيْجَانُ ؟ »
فَقَالَتْ لَهُ مُرَائِيَّةً مُتَوَدِّدَةً (مُظْهِرَةً مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ خِلَافَ مَا هِيَ عَلَيْهِ) : « إِنِّي أُحِبُّكَ — يَا أَبَتَاهُ — قَدْرَ مَا تُحِبُّكَ أُخْتِي « جُنْرِيلُ » .
إِنْ لَمْ أَرِدْ عَلَيْهَا : فَلَيْسَ لِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كُلِّهَا شُغْلٌ يَشْغُلُنِي عَنْ

ذَكَرَكَ ، أَوْ يُحَوِّلُنِي عَنْ حُبِّكَ ، أَوْ يُنْسِينِي بِرِّكَ بِي . وما أذكر
أَنْتِي غَفَلْتُ عَنْ التَّفَكُّيرِ فِيكَ - يَا أَبَتِ - لَحْظَةً وَاحِدَةً .
فَصَرَحَ الْمَلِكُ « لِير » ، وَتَمَلَّكَهُ الرَّهْوُ وَالْإِعْجَابُ ، وَتَطَلَّقَتْ
أَسَارِيرُهُ (تَهَلَّلَ وَانْفَرَجَتْ تَجَاعِيدُهُ) بِهَجَّةٍ وَحُبُورًا بِمَا سَمِعَ ، وَأَثْنَى
عَلَى بِنْتِهِ « رِيَّجَان » أَحْسَنَ الثَّنَاءِ ، وَشَكَرَ لَهَا هَذَا الْإِخْلَاصَ النَّادِرَ ،
وَأَكْبَرَ فِيهَا وَفَاءَهَا الْعَجِيبَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا :
« لَكَ مِنِّي - أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْبَارَّةُ - ثُلُثُ مُلْكِي . فَأَهْنِي بِهِ ؛
فَإِنَّ بِهَذِهِ الْمُكَافَأَةَ جَدِيرَةٌ .
وَأَكْبَرَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْحَنُوءَ ، وَاشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِمَا سَمِعَ ، وَشَكَرَ
لِابْنَتَيْهِ هَذَا الْحُبَّ النَّادِرَ ، وَالْوَفَاءَ الْعَجِيبَ .

٥ - حَدِيثُ « كُرْدِلِيَا »

ثُمَّ انْفَتَحَ الْمَلِكُ « لِير » إِلَى فَتَاتِهِ الصُّغْرَى : « كُرْدِلِيَا » ، وَقَالَ لَهَا :
« لَقَدْ جَاءَ دَوْرُكَ - يَا نُورَ قَلْبِي - وَلَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّ حُبَّكَ
إِنِّي أَعْظَمُ مِنْ حُبِّ أُخْتَيْكَ . وَقَدْ أَدَّخَرْتُ (اخْتَفَضْتُ) لَكَ

ثُلُثَ الْمُلْكِ ، وَهُوَ أَخْصَبُ بُقْعَةٍ فِي مَمْلَكَتِي وَأَغْنَاهَا فَحْدُ ثِنْتِي
بِمِقْدَارِ مَا تُضْمِرُنِي لِي (مَا تُخْفِيهِ فِي ضَمِيرِكَ) مِنْ حُبِّ وَوَلَاءٍ .
فَقَالَتْ لَهُ « كُرْدِلِيَا » : « لَيْسَ لَدَيَّ مَا أُحَدِّثُكَ بِهِ ، يَا أَبَتَاهُ ! »
فَقَالَ لَهَا مَدْهُوشًا : « مَاذَا تَقُولِينَ ؟ أَلَيْسَ لَدَيْكَ مَا تُحَدِّثُنِي بِهِ ؟ »
فَقَالَتْ لَهُ « كُرْدِلِيَا » : « لَا شَيْءَ عِنْدِي ، يَا أَبَتَاهُ . »
فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ « لِير » : « كَأَنَّكَ لَا تُحِينُنِي ، أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ ! أَعِدِّي
عَلَيَّ مِسْمَعِي جَوَابَكَ الْأَخِيرَ . »
فَقَالَتْ « كُرْدِلِيَا » : « إِنِّي أُحِبُّ جَلَالَتَكَ بِمِقْدَارِ مَا يَحْتِمُهُ عَلَيَّ
الْوَاجِبُ الْأَبَوِيُّ ، لَا أَكْثَرُ ، وَلَا أَقَلَّ . »

٦ - ثَبَلُ « كُرْدِلِيَا »

وَأَمَّا قَالَتْ « كُرْدِلِيَا » ذَلِكَ ، وَلَمْ تَصْنَعْ لَهَا عِبَارَاتِ الْمَدِيعِ
وَالثَّنَاءِ الْخَلَابَةِ - كَمَا فَعَلَتْ أُخْتَاهَا مِنْ قَبْلُ - لِأَنَّهَا أَقْبَتْ (كَرِهَتْ)
أَنْ تَتَلَّكَ مَسَالِكَ الرِّيَاءِ ، وَسَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنْ أَنْ تَكُونَ مُخَادِعَةً مُمْلَقَةً
(قَوْلَ بِلْسَانِهَا مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا) .

وكانت على يقين من لو لم أختينها وخُبت طويتهما (نيتهما) ؛
فاحتقرت منهما ذلك الثناء الزائف ، الذي نطقا به ، لتخدعا أباهما
عن حقيقة نفسيهما ، رغبة في أن تظهرا بملكه العظيم .
وكانت « كُرْدِلِيَا » عارفة أن أختينها تنويان الغدر بأبيهما الشيخ ،
وأنهما لا تمنحضانه الود (لا تضمران له صادق المودة) ، ولا
تؤديان له شيئا من واجبات الأبوة عليهما ، وإن كانتا قد أغرقناه
بعبارات المديح والثناء التي لا طائل تحتها (لا فائدة منها) ، لتظهرَا
بغير مخبرهما (باطنيهما) الحقيقي .

ثم قالت « كُرْدِلِيَا » مستأنفة : « ما أنا إلا بنتك . وقد أوجدتني
من العدم ، وخصصتني بحبك وعطفك . وليس لي إلا أن أقدر ذلك
لك ؛ فأبادلك حبا بحب ، وعظفا برعاية . فإن واجب أبوتك
يقضي على أن أكون وفية لك ، بارة بك ، وأن أطيع أوامرك ،
وأحبك وأجلك الإجلال كله . »

٧ - غضب « لير »

كان الملك « لير » يُفرد (يخص) بنته الصغيرة « كُرْدِلِيَا »

بحب عظيم ، ويؤثرها (يفضلها) على أختينها الكبرى والوسطى ،
ولا يطيق فراقها . وكان يرزف أذنيه لسماع آيات الإعجاب به ،
والثناء عليه ، ويحسبها متفنتة في صوغ عبارات الولاء (الإخلاص) ،
أكثر من أختينها . فلما سمع منها ذلك الكلام الفاتر ، خاب
أمله فيها ، وامتلات نفسه سخطا (غضبا) عليها ، وتبرأ (تضرعا)
بها ؛ لأنه ظن أن حبها إياه أقل من حب أختينها .
ولو عرف الخبر (لو علم الحقيقة) ، لأيقن أن « كُرْدِلِيَا »
أخلص إنسان له ، وأبرأ ابنه به ، وأنها لم تشأ أن تتجر بحبها
أباهما ، كما فعلت أختاها .

ولو أن أباهما سألها مثل هذا السؤال ، في غير هذا الوقت ، لأفضت
إليه (صرحت له) بما تضمر له من وفاء وبر لا مثيل لهما ؛
أما وقد سألها في ذلك الوقت الذي يقسم فيه ميراثه بين بناته
الثلاث ، ورأت من رياء أختينها ما رأت ؛ قد سمت بها عزة نفسها ،
وأبى لها إباؤها وسوء أخلاقها أن تجاريهما في هذا التملق ، وتندفع
معهما في ذلك التلقيق .

أَمَّا أَبُوهَا « لِير » فَقَدْ أَنْتَهُ الشَّيْخُوخَةُ وَاجِبَاتِ الْحَزْمِ ، وَدَفَعَهُ
الْهُتْرُ (مَضْفُ الْقُل) إِلَى سُوءِ الرَّأْيِ ، وَخَطَلَ التَّقْدِيرَ (خَطَّهُ) ؛
فَلَمْ يَرَفْ فِي كَلَامِ « كُرْدِلِيَا » إِلَّا زَهْوًا وَكِبْرًا وَتَعَالِيًا وَغَطْرَسَةً .
وَمَا هُوَ - مِنْ شَيْءٍ - مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي بِسَبِيلٍ .

وَتَمَادَى (اسْتَمَرَّ) « لِير » فِي غَضَبِهِ ، وَأَسْلَمَ لِسُخْطِهِ الْعِيَانَ (تَرَكَ
لِنَفْسِهِ الزَّمَامَ) ؛ فَانْتَهَرَ « كُرْدِلِيَا » (زَجَرَهَا) ، وَأَمَرَهَا بِالِاسْتِخْفَاءِ
عَنْ نَاطِرِيهِ فِي الْحَالِ ، ثُمَّ قَسَمَ الثُّلُثَ الْبَاقِيَ مِنْ مُلْكِهِ - الَّذِي كَانَ
يَدَّخِرُهُ لَهَا - بَيْنَ أُخْتَيْهَا الْفَادِرَتَيْنِ .

٨ - مِهْرَجَانُ الْمَلِكِ

وَأَقَامَ الْمَلِكُ « لِير » مِهْرَجَانًا عَظِيمًا ، جَمَعَ فِيهِ سَرَاةَ الدَّوْلَةِ
وَأَعْيَانَهَا ، وَأَعْلَنَ أَمَامَهُمْ مَا قَرَّرَهُ وَاشْتَرَطَهُ . وَلَمْ يَحْتَفِظْ لِنَفْسِهِ
بِشَيْءٍ مِنَ الْمَظَاهِرِ إِلَّا بَلَقَبِ الْمَلِكِ ، وَبِمَائَةِ فَارِسٍ يَكُونُونَ لَهُ
حَاشِيَةً ، عَلَى أَنْ يَنْزِلَ ضَيْفًا عَلَى إِحْدَى بَنَاتِهِ شَهْرًا ، ثُمَّ يَقْضَى
الشَّهْرَ التَّالِيَ فِي قَصْرِ الثَّانِيَةِ ، ثُمَّ يُقِيمَ - فِي الشَّهْرِ الثَّالِثِ - فِي قَصْرِ



الأولى ، فإذا جاء الشهر الرابع عاد إلى الأخرى ، وهكذا حتى ينتهي أجله .

وقد عجبت الحاشية من هذا القرار ودهشوا له . ولكنهم لم يجروا على مخالفته ، ولم يستطيعوا أن يعارضوا الملك في رأيه ، ما خلا وزيره الحكيم الراشد « كنت » ، الذي أقدم على التصح له بالإقلاع عن فكرته الخاطئة (تركها) ؛ فكان نصيبه - على صدق نصيحته - التهديد والوعيد . فلم يخش الوزير الناصح

تهديد الشيخ « لير » ، ولم يخف وعيده . فاعتاض الشيخ « لير » ، وجعل يقول له : « إن القوس محضرة ، وقد أعد فيها السهم . وما هي إلا لحظة حتى ينطلق السهم القاتل منها . فاحذر أن تكون هدفا له فهلك » .

ثم أنشد ، يندره ويتوعده :

« انحنت القوس ، وكادت ترمي
وفوق السهم ، وكاد يصي
فلا أجذك هدفا لسهي »

فأجابه الوزير الشجاع : « إذا اندفع سهم الموت إلى قلبي فمزقه ، فأني لا أخشى شيئا . ولتفعل بي أقدار الدهر وأحوال الزمن ما تشاء . » ثم أنشد :

« إن ينطلق سهم الردى ، من الوزير
إلى قوادى مضميا ، فينفطر
فلست هيأبا تصاريف القدر . »

لصاح فيه الشيخ « لير » : « ويملك أيها النغي . ألا تطلع عن أجاكتك وعنادك ؟ » فأجابه الوزير مخزونا يحذره عاقبة أمره ، ويظهره على هول ما يعتزم إقاده : « إنك ترمي نفسك في حفرة الظلم والاعتداء . فعلى مهلك . إن ما تفعله شيء عظيم ، وإن الظلم آخرته سيئة ، وخطره جسيم . » ثم أنشد :

« في وهدة البغي أراك تنحدر
فلا تسارع ، إنها إحدى الكبر
إن طريق البغي مخشى الخطر . »

فاشتد غضب الملك وسخطه على وزيره ، وأمر بطرده وتقيده من

المدينة ، وتوَعَّدُهُ بِالْقَتْلِ إِذَا بَقِيَ فِي مَمْلَكَتِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ .
فَقَالَ الْوَزِيرُ : « إِنِّي أَخْلَصْتُ لَكَ فِي نَصِيحَتِي : فَلْتَتَّقِ بِمَا أَقُولُ .
وَالنُّصْحُ أَثْمَنُ مَا يُحْفَظُ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى الْوَفَاءِ وَالْإِخْلَاصِ فِي أَوْقَاتِ
الشَّدَّةِ وَحَوَادِثِ الزَّمَنِ . » ثُمَّ أَنْشَدَ :

« مَحَضَّتْكَ النَّصْحُ ؛ فَحَازِرُ ، وَاعْتَبِرِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ النَّصْحَ أَغْلَى مُدْخَرٍ
مِنْ صَادِقِ الْوُدِّ ، إِذَا الدَّهْرُ غَدَرَ . »
ثُمَّ خَرَجَ مَخْزُونًا مَقْهُورًا ، وَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّ آخِرَةَ مَلِيكِهِ قَدْ قَرُبَتْ ،
وَأَنَّ مَصْرَعَهُ وَشِيكَ (هَلَاكُهُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ) .

٩ - وَدَاعُ « كَرْدِلِيَا »

قُلْنَا - آخِرًا - إِنَّ خَاطِبَيْنِ قَدْ جَاءَا يَرْغَبَانِ فِي الزَّوْاجِ بِالْأَمِيرَةِ
« كَرْدِلِيَا » ، وَهِيَ مَلِكَةُ « فَرَنْسَا » ، وَأَحَدُ أَمْرَاءِ « إِنْجِلِيزَةِ » .
فَإِنَّمَا الْأَمِيرُ الْإِنْجِلِيزِيُّ ، قَدْ كَفَّ (اِمْتَنَعَ) عَنْ طَلْبِ الزَّوْاجِ
بِالْأَمِيرَةِ « كَرْدِلِيَا » ، بَعْدَ أَنْ قَدَّتْ حَقَّهَا فِي مِيرَاثِ أَبِيهَا .

وَهُنَالِكَ تَوَجَّهَ مَلِكُ « فَرَنْسَا » إِلَى الْأَمِيرَةِ « كَرْدِلِيَا » ، وَأَصْرَ
(عَزَمَ) عَلَى الزَّوْاجِ بِهَا ، بَعْدَ أَنْ خَذَلَهَا أَبُوهَا وَخَطَبَهَا الْآخِرَ .



وَقَدْ أُعْجِبَ مَلِكُ « فَرَنْسَا » بِصِرَاحَةِ « كَرْدِلِيَا » ، وَأَكْبَرَ فِيهَا
الْعِزَّةَ الَّتِي أَظْهَرَتْهَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ، إِذْ رَضِيَتْ بِالزُّوْلِ عَنْ نَصِيْبِهَا
فِي الْمُلْكِ ، وَرَأَتْ أَنَّ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا فَقِيرَةً مُعْدِمَةً (لَا تَمْلِكُ)

شيئا)، مؤثرة (مفضلة) ذلك على أن تتجر بحب أيها، وتتخذ
 سلما إلى مشاركة أختها في الميراث.
 وبعد زمن قصير رأى ملك «فرنسا» أن يعود بزوجته
 «كردليا» إلى وطنه، فاستأذنته في وداع أختها. وقد فارقتهما
 دامة العين، مخزونة القلب، وأوصتهما خيرا بأبيهما. فأغلظتا لها
 القول، وخاشنتاهما في الحديث (اشتدت كل منهما عليها في
 الكلام)، وقالتا لها ساخرتين:

«لنا في حاجة إلى توصيتك؛ فليست بأبر من كلتينا به،
 وما هو بأكرم عليك منه علينا».

أما أبوها الملك «لير»، فقد قال لزوجها غاضبا:

«أذهب بها إلى حيث شئت؛ فما أطبق رؤية وجهها بعد الآن».
 فقال له ملك «فرنسا»: «ليكن ما تشاء. فوداعا».

ثم سافرت «كردليا» - صغرى بنات الشيخ «لير» - مع
 زوجها ملك «فرنسا» إلى وطنه، حيث اتخذته لها مقاما (مكانا
 يقيم فيه) بعد ذلك اليوم.

الفصل الثاني

١ - في قصر «جنديل»

هدأت نائرة الملك «لير»، بعد أن أقضى (أبعد) بنته المخلصة
 الوفاة «كردليا» عن مملكته، وهو يحسبها مثال الحقوق (عدم
 القيام بالواجب نحو أيها) والعذر والكبرياء.

وذهب الملك على الفور إلى قصر بنته «جنديل». ولكه
 ما عثم (ما لبث) أن أدرك حقائق الأشياء التي كان الرياء والتناق
 يسترانها عن ناظره، ويحجبانها عن عينيه. وعرف أن الألفاظ،
 المعسولة، والمدائح المنمقة (المزخرفة) الزائفة، لا تُغني عن
 الحق شيئا.

لقد تملك البلاد - بعد أيها - وظفرت (فازت) بكل
 ما منحها إياه من سلطان وقوة، واستتب (استقر) لها الملك؛
 فكان أول همها أن تنكر (تغير) لمن أحسن إليها، وتجزيه على
 صنيعه المشكور أقبح جزاء، وتكافئه إساءة بإحسان، وعقوبا ببرد،
 وغدرا بوفاء.

٢ - خَبْتُ « جُزَيْل »

ورأت « جُزَيْل » أن أباه قد أصبح - بعد أيام قليلة -
مَيْلًا قَبِيلًا لَا يُطَاقُ، وَأَسْتَكْثَرَتْ عَلَيْهِ مِائَةَ الْفَارِسِ الَّذِينَ أَسْتَبَقَاهُمْ
لِنَفْسِهِ، لِيُرَاقِبُوهُ فِي حَلِّهِ وَتَرْحَالِهِ (فِي إِقَامَتِهِ وَسَفَرِهِ) .
وَأَصْبَحَتْ « جُزَيْل » تَلْقَى أَبَاهَا - كُلَّمَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَيْهِ -
بِوَجْهِ عُبُوسٍ، وَقَطْبُ حَاجِبَيْهَا (تَعَبَسَ) كُلَّمَا نَادَاهَا، وَلَا تَلْجِي
(لَا تُجِيبُ) لَهُ رَجَاءً، وَلَا تُنْفِذُ لَهُ مَشِئَةً .

وَأَقْتَدَى بِهَا خَدَمُهَا فِي مُعَامَلَةِ هَذَا الشَّيْخِ؛ فَأَصْبَحُوا لَا يُكَلِّمُونَهُ
لَهُ أَمْرًا، وَلَا يُعَامِلُونَهُ بِغَيْرِ الْإِهْمَالِ وَالِاخْتِقَارِ وَقَلَّةِ الْكَرَامَاتِ .

٣ - وفاء الوزير

أَمَّا الْوَزِيرُ الْوَفِيُّ « كَنْت »، الَّذِي طَرَدَهُ الشَّيْخُ « لِير » مُكَافَأَةً
لَهُ عَلَى صِدْقِ وَفَائِهِ، وَأَمَرَ بِنَفْسِهِ مِنْ مَدِينَتِهِ، فَقَدِ ابْنَى عَلَيْهِ إِخْلَاصَهُ
لِمَلِكِهِ أَنْ يَتَذَكَّرَهُ نَهَبَ الْمَصَائِبِ وَالْأَخْذَاتِ (تَنَبَّهُ وَتَحَرَّسَهُ)،

وَنَهَزَةَ الْخُطُوبِ وَالْكَوَارِثِ (فُرْصَةً لِلْبَلَايَا وَالنَّكَبَاتِ) . فَلَمْ يَخْرُجْ
مِنَ الْمَدِينَةِ؛ وَلَكِنَّهُ غَيَّرَ مِنْ هَيْئَتِهِ، وَبَدَّلَ مِنْ شَكْلِهِ، وَتَزَيَّنَا
بِزِيِّ الْخَدَمِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَلِكِهِ خَادِمًا أَمِينًا، يَرْعَاهُ وَيَحْرُسُهُ،
وَيَرْقُبُهُ عَنْ كَثَبٍ (عَنْ قُرْبٍ) .

وَرَضِيَ الْمَلِكُ « لِير » بِهَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ .
وَلَمْ يَنْقُصْ عَلَى عَوْدَتِهِ إِلَى مَلِكِهِ يَوْمَ كَامِلٍ، حَتَّى رَأَى خَادِمًا مِنْ خَدَمِ
« جُزَيْل » يُجَادِلُ الْمَلِكَ « لِير »، وَيَسْتَهِنْ بِهِ، لِيَرْضَى بِذَلِكَ
سَيِّدَتَهُ « جُزَيْل » .

فَنَضِبَ الْوَزِيرُ، وَلَمْ يَحْتَمِلْ وَقَاحَةَ ذَلِكَ الْخَادِمِ الْجَرِيءِ، وَثَارَتْ
ثَائِرَتُهُ (غَضِبَ) عَلَيْهِ؛ فَصَفَّاهُ (ضَرَبَهُ) صَفْعَةً كَادَتْ تُذْهِلُهُ
(تَذْهِبُ عَقْلَهُ) وَتُرْزِيهِ (تُهْلِكُهُ)، جَزَاءً لَهُ عَلَى سَفَاهَتِهِ وَتَطَاوُلِهِ
عَلَى سَيِّدِهِ . فَابْتَهَجَ الْمَلِكُ « لِير » بِوَفَاءِ هَذَا الْخَادِمِ الْجَدِيدِ وَإِخْلَاصِهِ،
وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ وَزِيرُهُ النَّاصِحُ « كَنْت »، الَّذِي لَمْ يَأَلُ
(لَمْ يُبْقِ) جُهْدًا فِي تَحْذِيرِهِ عَوَاقِبِ التَّسَرُّعِ وَالتَّبْنِي .

٤ - « الْبُهْلُولُ »

وَلَقَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ « لِير » ، بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنْهُ سُلْطَانُهُ ،
وَدَالَتْ دَوْلَتُهُ (انْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقِبِ) . وَلَمْ يَبْقَ إِلَى جَانِبِهِ



- بَعْدَ وَزِيرِهِ الْأَمِينِ - غَيْرُ نَدِيمِهِ الَّذِي كَانَ يُلقَّبُهُ مَرَّةً بِالْبُهْلُولِ ؛
لِخِفَتِهِ وَدُعَابَتِهِ (ظَرْفِهِ وَفُكَاكِهِ) ، كَمَا يُلقَّبُهُ - مَرَّةً أُخْرَى -

بِالْمَجْنُونِ ؛ لِمَا أَعْتَادَهُ مِنْ خَلْطِ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ وَالْمَجُونِ (عَدَمِ
الْمُبَالَغَةِ) ، وَإِلْبَاسِ الْحَقِيقَةِ ثَوْبَ الْبَاطِلِ .
وَكَانَ « الْبُهْلُولُ » يُحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يَدْخِلَ السُّرُورَ وَالْبَهْجَةَ عَلَى
نَفْسِ مَلِيكِهِ ، وَيَتَفَنَّنُ فِي تَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ .

٥ - ذِكَاةُ « الْبُهْلُولِ »

وَكَانَ « الْبُهْلُولُ » يُحَاوِلُ أَنْ يُبَصِّرَ « لِير » بِعَاقِبَةِ مَا فَعَلَ .
وَقَدْ أَدْرَكَ - بِثَاقِبِ بَصَرِهِ (بِنَظَرِهِ النَّافِذِ) - مَا تُدْبِرُهُ « جُنْرِيلُ »
لِأَيِّهَا مِنَ الْمَكَايِدِ ، وَعَرَفَ أَنَّهَا تَوَدُّ جَاهِدَهُ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ .
وَقَدْ عَلِمَ « الْبُهْلُولُ » أَنَّ « جُنْرِيلَ » لَنْ تَغْفِرَ لِأَيِّهَا وَخَادِمِهِ
مَا لَقِيَهُ مِنْهَا خَادِمُهَا ، وَهِيَ الَّتِي أَوْعَزَتْ (أَشَارَتْ) إِلَيْهِ - كَمَا
أَسْلَفْنَا - بِأَنْ يَحْصِيَ أَمْرَ أَيِّهَا ، وَلَا يُبَلِّغَ لَهُ طَلِبًا .

٦ - قِصَّةُ الْمُصْفُورِ وَالْغُرَابِ

فَدَخَلَ « الْبُهْلُولُ » يُغْنِي مُدَاعِبًا (مُمَارِحًا) سَيِّدَهُ ، مُتَوَخِّيًا

(قاصداً) أَنْ يُنْذِرَهُ بِالْكَارِثَةِ قُبِيلَ وَقُوعِهَا ؛ حَتَّى لَا يُفَاجَأَ بِهَا ،
وَكَانَ يُبَلِّغُ لَهُ بِمَا يُرِيدُ ، وَيَقُولُ : « أَخْبَرْتَنَا الْقِصَصُ الَّتِي قَتَلْنَا إِلَيْنَا
الْمُصْغُورَ الْمَاضِيَةَ : أَنْ عَصْفُورًا أَبْصَرَ غُرَابًا وَلِيدًا فِي عُشِّهِ ، يَكَادُ
يَهْلِكُ ؛ فَقَرَّبَ مِنْهُ مَا يَبْتِثُ فِي جِسْمِهِ الدَّفْعَةَ ، وَسَقَاهُ مَا يَشْفِيهِ .
فَلَمَّا نَشِطَ الْغُرَابُ الصَّغِيرُ ، وَهَدَمَتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَبَلَغَ مَبْلَغَ الشَّابِّ ،
دَفَعَتْهُ نَفْسُهُ الشَّرِيرَةُ إِلَى أَنْ يَقْتُلَ الْمُصْغُورَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فَضْلًا ،
وَأَسَدَى إِلَيْهِ جَمِيلًا ؛ وَذَلِكَ سُوءُ الْجَزَاءِ . »

ثُمَّ يُنْشِدُ :

« قَدْ حَدَّثْتَنَا أَصْدَقُ الْأَمْثَالِ فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ الْخَالِي
قِصَّةَ تَرْوِي عَنِ الْمُصْغُورِ أَبْصَرَ - فِي وَكْرٍ مِنَ الْوُكُورِ -
فَرَّخَ غُرَابٍ مُشْرِفًا عَلَى التَّلَفِ قَالَ لِلْفَرَّخِ : اطْمَئِنَّ ، لَا تَخَفْ
وَأَدْفَأَ الْفَرَّخُ ، وَدَاوَاهُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، حَتَّى شَفَاهُ مِنْ أَلَمِ
وَكَانَ عِنْدَهُ الْعَزِيزُ الْغَالِي وَأَكْرَمَ الْأَبْنَاءِ وَالْعِيَالِ
حَتَّى إِذَا الْفَرَّخُ غَدَا غُرَابًا لَمْ يَرَ - غَيْرَ قَتْلِهِ - ثَوَابًا
وَأَهْلَكَ الْغُرَابُ مَنْ رَبَاهُ جَزَاءَ مَا قَدَّمَ مِنْ حُسْنَاهُ . »

فَصَبَّحَ « لَيْرُ » مُتَعَجِّبًا : « وَمَاذَا تَعْنِي بِهَذِهِ الْقِصَّةِ ، يَا بُهْلُولُ ؟ »
فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا :
« أَرَاكَ - يَا عَمَّ - فَعَلْتَ فَعْلَهُ وَسَوْفَ تُجْزَى فِي الْحَيَاةِ مِثْلَهُ
أَنْتَ شَبِيهُ ذَلِكَ الْمُصْغُورِ . »
فَصَرَخَ « لَيْرُ » يَتَوَعَّدُهُ بِالْوَيْلِ (الْعَذَابِ وَالْهَلَاكِ) ، إِذَا تِمَادَى
فِي دُعَابَتِهِ (مُزَاحِهِ) . قَالَ « الْبُهْلُولُ » ضَاحِكًا :
« أُعْطِيكَ - إِنْ كَذَّبْتَنِي - طُرْطُورِي ! »

٧ - حَاشِيَةُ الْمَلِكِ

وَمَا أَسْرَعَ مَا تَحَقَّقَتْ فِرَاسَةُ « الْبُهْلُولِ » ؛ فَإِنَّ « جُنْدِيلَ » :
تِلْكَ الْبِنْتَ الْخَيْثَةَ الْعَاقَةَ (الَّتِي لَمْ تُرَاعَ حَقَّ الْأَبُوَّةِ) ، لَمْ تَشَأْ
أَنْ تَتْرُكَ أَبَاهَا يَقْضِي بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ وَادِعًا هَانئًا مُسْتَرِيحَ الْقَلْبِ ،
وَأَبَى عَلَيْهَا خُبْنَهَا وَلَوْ مُطْبَعَهَا إِلَّا أَنْ تُنْعَصَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ، وَتُكَدَّرَ
عَلَيْهِ صَفْوُ حَيَاتِهِ . وَقَدْ اسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :
« لَقَدْ مَلَأْتُ حَاشِيَتَكَ - لِكثَرَةِ عَدَدِهَا - قَصْرِي ، وَأَصْبَحْتُ

لَا أُطِيقُ جَلْبَتَهُمْ وَضَوْضَاءَهُمْ (أَصْوَاتُهُمْ الْعَالِيَةَ) بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ .
وَأَرَاكَ جَدِيرًا أَنْ تَتَخَيَّرَ نَخْبَةً (خُلَاصَةً) قَلِيلَةً - عَلَى نَصِّ سِنِّكَ
(فِي مِثْلِ عُمْرِكَ) - لِمُرَاقَبَتِكَ ، إِنْ شِئْتَ .

٨ - دَعْوَةُ « لِير »

فَنَضِيبَ الْمَلِكُ « لِير » مِمَّا قَالَتْهُ بِنْتُهُ ، وَقَالَ لَهَا :
« إِنْ حَاشَيْتِي جَمِيعًا مِنْ خَيْرَةِ النَّاسِ أَدَبًا وَمَعْرِفَةً ، وَلَيْسَ فِي أُسْتِطَاعَةٍ
أَحَدٍ أَنْ يَتَّبِعَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ التُّهْمَةِ الْكَاذِبَةِ . »
ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِاسْتِدْعَاءِ جِيَادِهِ (خَيْلِهِ) وَإِسْرَاجِهَا ، مُعْتَزِمًا أَنْ
يُعَادِرَ بِنْتَهُ عَلَى الْقَوْرِ ، وَانْفَتَحَ إِلَيْهَا عَابِسًا ، وَقَالَ :
« لَمْ يَبْقَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَصْبِرَ عَلَى هَذَا التَّجَنِّي (ادِّعَاءِ التُّهْمِ) ،
يَا « جُنْدَرِيلُ » . وَإِنِّي لِأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ رَزَقَنِي بِنْتًا أُخْرَى غَيْرَكَ ،
تُكْرِمُ وَقَادَتِي (قُدُومِي عَلَيْهَا) ، وَتَهْدُرُ أُبُوتِي لَهَا ، وَتَعْرِفُ مِنْ حَقِّي
عَلَيْهَا مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتِ ، أَيَّتُهَا الْعَاقَةُ الْجَاحِدَةُ . »
ثُمَّ دَعَا عَلَى بِنْتِهِ « جُنْدَرِيلَ » أَنْ يُصِيبَهَا اللَّهُ بِالْعَقَمِ ؛ فَلَا تَلِدْ

مَدَى حَيَاتِهَا ، أَوْ يَرْزُقَهَا بَشَرُ الْأَبْنَاءِ ؛ لِيَجْزِيَهَا مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ
الْقَادِرِ ، وَأَنْ تَمُوتَ شَرًّا مِيتَةً .

٩ - دُعَاةُ « الْبُهْلُولِ »

وَحَشِيَ « الْبُهْلُولُ » أَنْ يَطْفِئَ الْحُزْنَ عَلَى قَلْبِ « لِير »
فِيهِلِكَه ؛ فَجَرَى - عَلَى عَادَتِهِ - فِي مُدَاعَبَتِهِ (مُمَازَحَتِهِ) ، وَرَاحَ
يُغْنِيهِ مُنْشِدًا :
« يَا لَيْتَ لِي - يَا عَمَّ - طُرْطُورَيْنِ ! أُعْطِيكَ طُرْطُورًا مِنْ الْإِثْنَيْنِ
وَأَجْعَلَ الْآخَرَ نُصْبَ عَيْنِي . »
فَقَالَ : « وَمَاذَا أَصْنَعُ بِطُرْطُورِكَ ، يَا « بُهْلُولُ » ؟ ضَعْنُهُمَا مِمَّا نُصَبُّ
عَيْنَكَ (أَمَامَهَا) ! »
فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا : « إِنْ بَنَيْكَ لَا تُعْطِيَانِكَ شَيْئًا لَوْ طَلَبْتَهُ .
وَمَا أَحَقَّكَ بِأَنْ تُرَوِّىَ خَدَيْكَ (تَبْلُغُهُمَا) بِدَمْعَتَيْنِ ، جَزَاءَ خَطِيئِكَ فِي
نُزُولِكَ لِهَمَّا عَنِ الْمَلِكِ . » ثُمَّ أَنْشَدَهُ :
« أَطْلُبُهُ - إِنْ شِئْتَ - مِنَ الْبِنْتَيْنِ ! أَلَسْتَ أَسْكَنْتَهُمَا قَصْرَيْنِ ؟ »

أَلَسْتَ أَعْطَيْتَهُمَا تَاجِينَ ؟ ثُمَّ وَهَبْتَ الْمَلِكَ ذِئْبَتَيْنِ ؟
فَالْيَوْمَ تَلْقَى أَوَّلَ النَّصَفَيْنِ تُخْلِيكَ مِنْ بَيْتٍ مِنَ الْبَيْتَيْنِ
وَفِي غَدٍ تَشْقَى بِطَرْدَتَيْنِ جَزَاءَ مَا أَخْطَأْتَ فِي حُكْمَيْنِ
إِنَّكَ قَدْ خُدِعْتَ خُدْعَتَيْنِ فَرَوْ خُدَيْكَ بِدَمْعَتَيْنِ
وَابِكِ عَلَى نَفْسِكَ مَرَّتَيْنِ .

فَقَالَ لَهُ « لِير » :

« مَا أَصْدَقَ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْمَجْنُونُ الْعَاقِلُ ! وَلَكِنْ قَاتَ وَقْتُ
النَّدَمِ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ فِي رَدِّ مَا قَاتَ . عَلَى أَنَّ بِنْتِي الثَّانِيَّةَ
طَيِّبَةُ الْقَلْبِ ، وَلَنْ تَذْخِرَ (لَنْ تُنْقِيَ) وَسْعًا فِي إِسْعَادِي ، وَتَوْفِيرٍ
جَالِبَاتِ الْبَهْجَةِ (أَسَابِ السُّرُورِ) لِي .
وَسَتُرِيكَ الْأَيَّامُ صِدْقَ مَا أَقُولُ . »

١٠ - عِنْدَ « رِيَّجَان »

واعتزم الملك « لير » أن يقضي بقية عمره في قصر بنته
الثانية « ريجان » ؛ فبعث إليها رسوله الوزير « كنت » ، بكتاب

يُنَبِّئُهَا (يُخْبِرُهَا) فِيهِ بِمَا اعْتَزَمَهُ وَقَرَّرَهُ ، وَيَعِدُّهَا بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا بَعْدَ
وَقْتٍ قَلِيلٍ .

وَلَمْ يَكْذِبِ الْوَزِيرُ « كَنْت » ، يَبْلُغُ قَصْرَ « رِيَّجَان » ، وَيُقْضَى
إِلَيْهَا (يُخْبِرُهَا) بِمَا لَقِيَ أَبُوهَا الشَّيْخُ « لِير » مِنْ عُقُوبِ (إِنْكَارِ
لِحَقِّهِ) ، حَتَّى جَاءَ رَسُولٌ مِنْ أُخْتِهَا « جُنْرِيل » ، وَأَسْلَمَهَا كِتَابَهَا
الَّذِي بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْهَا ، تَوْصِيهَا بِأَيِّهَا شَرًّا ، وَتَوَعُّدُ صَدْرَهَا
(تُشِيرُ غَضَبَهَا) عَلَيْهِ ، وَتُدَبِّرُ لَهَا خُطَّةً خَبِيثَةً لِلْخِلَاصِ مِنْهُ وَمِنْ
أَتْبَاعِهِ وَحَاشِيَتِهِ .

١١ - حَبْسُ الْوَزِيرِ

وَمَا أَتَمَّتْ « رِيَّجَانُ » كِتَابَ أُخْتِهَا قِرَاءَةً حَتَّى أَغْلَظَتْ الْقَوْلَ
لِرَسُولِ أَيْيَا . فَلَمَّا حَاوَلَ أَنْ يُذَكِّرَهَا بِمَا لِأَيِّهَا عَلَيْهَا مِنْ فُرُوضِ
وَحُقُوقِ ، ثَارَتْ فِي وَجْهِهِ مُغْضَبَةٌ ، وَأَمَرَتْ بِحَبْسِهِ فِي سِجْنٍ مُظْلِمٍ ،
جَزَاءَ لَهُ عَلَى جُرْأَتِهِ .

١٢ - مَقْدَمُ « لِير »

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ قَدِمَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ « لِير » . وَمَا عَلِمَ
أَنَّ رَسُولَهُ قَدْ سَجِنَ ، وَأَنَّ بِنْتَهُ « رِيحَان » هِيَ الَّتِي أَمَرَتْ بِحَبْسِهِ ،
حَتَّى زَادَ هِيَاجُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهَا .
قَالَتْ لَهُ « رِيحَان » :

« خَفَّفْ مِنْ سُخْطِكَ - أَيُّهَا الْوَالِدُ الشَّيْخُ - فَمَا أَظُنُّ أَنَّ
أُخْتِي قَدْ أَخْرَجَتْكَ مِنْ قَصْرِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَقْدَ صَبْرُهَا مِنْ لَجَاجَةِ
أَتْبَاعِكَ (تَخَاصُمِهِمْ) وَصَخَبِهِمْ (صَيَحَاتِهِمْ) ، وَضَاقَ ذَرْعُهَا
(ضَجِرَتْ) بِمَا اقْتَرَفُوهُ (ارْتَكَبُوهُ) مِنْ شُرُورٍ وَآثَامٍ .
وَهِيَ - بِلَاشِكْ - فِي سَعَةِ مِنَ الْعَذْرِ ، لِأَنَّ قُصُورَ الْمُلُوكِ جَدِيرَةٌ
أَنْ تُنَزَّهَ (تُبْرَأَ وَتُخْلَصَ) مِنْ عَبَثِ الْمَائِثِينَ ، وَلَهُوَ الْهَازِرِينَ
(السَّاخِرِينَ فِي الْقَوْلِ) . »

١٣ - حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ

لَمْ يَسْتَطِعْ « لِير » أَنْ يُصَدِّقَ مَا سَمِعَهُ أُذُنَاهُ مِنْ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ ،

بَعْدَ مَا رَأَاهُ مِنْ عُقُوقِ بِنْتِهِ الْأُولَى ؛ فَخَبِّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَالِمٌ ،
وَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنْ فَرَطِ الْأَسَى وَالْحُزَنِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَ فِي الْجَزَعِ
(شِدَّةِ الْحُزَنِ) فَائِدَةً ؛ فَاعْتَصَمَ بِالصَّبْرِ (لَجَأَ إِلَيْهِ) - مَا وَسَّعَهُ حِلْمُهُ -
وَقَالَ لِبِنْتِهِ ، وَهُوَ يُغَالِبُ الدَّمْعَ جَاهِدًا :

« مَا أَظُنُّ أَنَّكَ - مَهْمَا عَقَقْتَ أَبَاكَ - بِالْفَنَاءِ بَعْضَ مَا بَلَغَتْهُ
أُخْتُكَ مِنْ جُحُودٍ وَعُقُوقٍ !

وَإِنِّي لِأَخَالُ أَنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ بِأَيْدِكَ ، وَأُذَنِّي إِلَى الْوَفَاءِ وَالْخُورِ
عَلَيْهِ ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ . فَحَازِرِي أَنْ تَنْهَجِي نَهْجَ « جُرَيْل » ،
(تَتَّبِعِي طَرِيقَهَا) ، فَتُخَيَّبِي تَأْمِيلَ أَيْدِكَ ، وَتَمْلِكِي قَلْبَهُ يَأْسًا ؛
بَعْدَ أَنْ وَهَبَ إِلَيْكَ أَثْمَنَ مَا يَمْلِكُ ، وَلَمْ يَضَنْ (لَمْ يَبْخُلْ) عَلَيْكَ
بَاعِزٌ مَا لَدَيْهِ مِنْ مُلْكٍ وَجَاهٍ وَمَالٍ . »

١٤ - مَقْدَمُ « جُرَيْل »

وَمَا أَتَمَّ قَوْلَهُ ، حَتَّى قَدِمَتْ بِنْتُهُ « جُرَيْل » ؛ فَانْضَمَّتْ
إِلَى أُخْتِهَا « رِيحَان » ، وَظَلَّتْ تُوَعِّزُ صَدْرَهَا عَلَى أَبِيهَا الشَّيْخِ ؛ حَتَّى

فَمَا عَلَيْهِ قَلْبُهَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَارَتْ مَعَهَا فِي الْعُقُوقِ إِلَى
أَبْعَدِ مَدَى .

قَالَتْ « رِيحَانُ » : « لَقَدْ اسْتَكْرَتْ عَلَيْكَ أُخْتِي أَنْ تَكُونَ
حَاشِيَتِكَ مُؤَلِّفَةً مِنْ خَمْسِينَ فَارِسًا . أَمَّا أَنَا ، فَاسْتَكْرْتُ عَلَيْكَ
نِصْفَ هَذَا الْعَدَدِ ، وَأَرَى أَنَّ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ فَارِسًا كَثِيرٌ
عَلَيْكَ . وَمَا أَذْرِي : مَا حَاجَةٌ مِثْلِكَ - أَيُّهَا الشَّيْخُ - إِلَى مِثْلِ
هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْحُرَّاسِ وَالْجُنْدِ ؟ بَلْ مَا حَاجَتُكَ إِلَى عَشْرَةِ
فُرْسَانٍ ؟ بَلْ إِنِّي لَأَسْتَكْرْتُ عَلَيْكَ خَمْسَةَ !

صَدَّقَنِي إِنَّكَ لَنْ تَحْتَاجَ إِلَى فَارِسٍ وَاحِدٍ ، فَكَيْفَ يَجْمَعُ
مِنْ الْفُرْسَانِ ؟ إِنْ خَدَمِي لِيُودُّونَ لَكَ - أَيُّهَا الشَّيْخُ - كُلَّ
مَا تُرِيدُ ، فَمَا انْتِفَاعُ مِثْلِكَ بِالْحَاشِيَةِ ؟ »

١٥ - غَضَبَةُ الشَّيْخِ

وَتَمَّ (هُنَا) أَذْرَكَ الشَّيْخُ « لِير » أَنَّ ابْنَتَهُ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ
أَبْرَّ بِهِ مِنَ الْأُولَى ؛ فَاشْتَدَّ عَلَى بِنْتِهِ سَخَطُهُ ، وَدَعَا عَلَيْهَا جَمِيعًا

أَنْ تَلْقِيَا الْجَزَاءَ الْعَادِلَ ، وَأَنْذَرَهُمَا بِسُوءِ الْمَصِيرِ .

وَلَا تَسْلُ عَمَّا اسْتَوَلَى عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْيَأْسِ ، بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ
مِنْ غَدْرِ بِنْتَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُرَ لَهُ عَلَى بَالٍ ؛ فَصَاحَ مُتَأَلِّمًا
مَحْزُونًا : « أَخْرِجَا مَعِيَ رَسُولِي وَبُهْلُولِي ، وَلَنْ تَرَيَانِي بَعْدَ
الْيَوْمِ ! »

لِجَوَادِهِ الْعِزَّانَ، وَقَدْ كَادَ الْيَأْسُ يُذْهِلُهُ، وَبَدَأَ عَلَيْهِ الْخَبَالُ (اِخْتِلَاطُ الْعَقْلِ) ؛ فَلَمْ يُبَالِ الزَّمْهَرِيرَ (مُبْلُوغَ الْبَرْدِ أَقْصَاهُ) ، وَلَمْ يُشْفِقْ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ الْمُهْدَمَةِ، مُؤَثِّرًا (مُخْتَارًا) أَنْ يَهْلِكَهُ الْبَرْدُ، عَلَى أَنْ تَذِلَّهُ بِنْتَاهُ .

وَوَظَلَ يُلَوِّحُ بِذِرَاعَيْهِ فِي الْقَضَاءِ كَأَنَّمَا يَتَوَعَّدُهُمَا، وَيُمِيلُ رَأْسَهُ إِلَى الْخَلْفِ، وَيَصِيحُ مُغْضَبًا حَاتِقًا، حَتَّى لِيَحْسَبُ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ بِهِ مَسًّا مِنَ الْجُنُونِ. وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الشَّيْخِ « لِير » - فِي مِحْنَتِهِ - غَيْرُ صَاحِبِيهِ الْمُخْلِصَيْنِ: « كَنْت » وَ « الْبُهْلُول » .

٢ - الْأَعاصِيرُ وَالرُّعُودُ

وَأَشْتَدَّتِ الزَّوْبَعَةُ عُنْفًا، وَتَحَدَّرَ الْمَطَرُ (سَقَطَ)، ثُمَّ هَمَى (نَزَلَ بِكَثْرَةٍ) كَأَنَّهُ السَّيْلُ الْجَارِفُ، وَجَلَجَلَتِ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ، وَدَوَّتِ الرِّيَّاحُ الْعَاتِيَةُ (الْعَنِيفَةُ)، وَخِيلَ إِلَى النَّاسِ أَنَّ الْبَرَائِكِينَ انْفَجَرَتْ، وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ انْتَشَرَتْ (تَسَاقَطَتْ)، وَأَنَّ الْجَحِيمَ سَعَرَتْ (الْتَهَبَتْ). وَبَدَأَ ذَلِكَ الشَّيْخُ الْهَمُّ (الْهَرَمُ)، وَقَدْ قَفَّ

الفصل الثالث

١ - هُيُوبُ الْعَاصِفَةِ



كَانَتْ اللَّيْلَةُ عَاصِفَةً، قَارِسَةً (شَدِيدَةَ الْبَرْدِ). وَقَدْ أَدْرَكَ الشَّيْخُ « لِير » أَنَّ بِنْتَيْهِ الْقَادِرَتَيْنِ قَدْ أَسْلَمَتَاهُ إِلَى تِلْكَ الزَّوَابِعِ النَّائِرَةِ، وَالْأَعَاصِيرِ الْهَائِجَةِ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُمَا فِيهِ رَحْمَةٌ؛ فَأَسْلَمَ

شَعْرُهُ (وَقَفَ) ، وَتَقَوَّسَ ظَهْرُهُ ، وَانْحَنَتْ قَامَتُهُ الْمَدِيدَةُ ، بَعْدَ أَنْ
أَلَحَّتْ عَلَيْهِ جَالِبَاتُ الدَّمَارِ (مُسَبِّاتُ الْهَلَاكِ) ، وَعَصَفَتْ بِهِ
عاصِفَاتُ الْأَقْدَارِ .

٣ - نَشِيدُ الْعَاصِفَةِ

وَكَانَ الشَّيْخُ « لِير » يَصْرُخُ مُتَحَدِّيًا هَذِهِ الْقُوَى الْعَاتِيَةِ الْمُتَأَلِّبَةِ
(الْمُتَجَمِّعَةِ) عَلَيْهِ ، مُصَيِّحًا صَيِّحَاتٍ مُفْرَعَةً هَائِلَةً ، وَهُوَ يَقُولُ :
« هَبِّي أَيْتَهَا الرِّيَّاحُ الْقَاسِيَةُ الْعَنِيفَةُ ، الَّتِي تُهْلِكُ الْمَدَائِنَ ، وَتُفْسِدُ
الْأَرْضِينَ : الْمُنْبَسِطَةُ مِنْهَا ، وَالْمَمْلُوءَةُ أَحْجَارًا وَرِمَالًا ، وَالَّتِي
لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ . ثُمَّ أَنْزِلِي مَطَرَكِ ، يُغَطِّي الْأَبْنِيَةَ الْعَالِيَةَ ، وَيُغْرِقُ
الْأَرْضِيَّ الْمَرْزُوعَةَ . » ثُمَّ يُنْشِدُ مُتَوَعِّدًا :

« زَوَابِعَ الْأَمْطَارِ : هَبِّي مَعَ الْإِعْصَارِ
فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ عَاصِفَةً مِنْ نَارِ
مَرْهُوبَةِ الدَّمَارِ تَأْتِي عَلَى الْأَمْصَارِ
وَالسَّهْلِ وَالْقِفَارِ

وَأَمْطِرِي ثُلُوجًا تَجَلَّلُ الْبُرُوجَا
وَتُغْرِقُ الْمُرُوجَا .

وَتَشْتَدُّ الْعَاصِفَةُ هُبُوبًا ، وَيَزَارُّ الرِّعْدُ مُجَلِّجًا قَاصِفًا ، وَيَبْرُقُ
الْبَرْقُ ، يَكَادُ سَنَاهُ (ضَوْؤُهُ) يَخْطِفُ الْأَبْصَارَ ، وَيُوهِمُ مَنْ يَرَاهُ
أَنَّ الْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ تَهْتَزُّ مِنْ أَقْطَارِهَا (جَوَانِبِهَا) ، وَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ
زُلْزِلَتْ زِلْزَالَهَا . فَيَشْتَدُّ صِيَاحُ الشَّيْخِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « دَوِّي - أَيْتَهَا
الرِّيَّاحُ - وَعَوِّي ، وَدَمَّرِي بَيْتِي وَبَنِيَّ ، عَنَيْتُ (قَصَدْتُ) الذُّبَّتَيْنِ .
ثُمَّ أَتْنِي (عُدِّي) إِلَى ، فَأَمْطِرِي جَاحِمَكَ الْعَتِيَّ (نَارَكَ الْمُوقَدَةَ) ،
كَفَاءَ خَيْبَتِي (عَلَى قَدْرِهَا) ، فِي ظَنِّي الْحَسَنِ بِهِمَا . » ثُمَّ أَنْشَدَ :

« يَارِيحُ : دَوِّي ، دَوِّي وَيَا رُعُودَ الْجَوِّ :
لَا تَهْدِي ، وَعَوِّي وَانْتَرَعِي حُسُوِي
وَأَحْرِقِي عَدُوِّي

...

وَدَمَّرِي بَيْتِيَا وَأَهْلِي بَيْتِيَا
عَنَيْتُ : ذُبَّتِيَا ثُمَّ أَتْنِي إِلَيَا

فَأَمْطَرِي عَلَيَا جَاحِمَكَ . الْعَتِيَا
جَزَاءَ خُدَعَتَيَا وَأَلْهِي جَنْبَيَا
كَفَاءَ خِيَتَيَا .

ثُمَّ تَعَاوَدَهُ الذِّكْرِيَّاتُ الْمُؤَلِّمَةُ ، وَتَرَدَّدُ فِي سَمْعِهِ كَلِمَاتُ بِنْتَيْهِ
الَّتِي كَانَتَا تُمَلِّقَانِهِ بِهَا - لَتَسْتَوِيَا عَلَيَّ مُلْكِي - وَيُقَابِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا رَأَاهُ
مِنْ غَدْرِهَا بِهِ ، وَاسْتِهَانَتِهَا بِخَطَرِهِ (قَدْرِهِ وَقِيَمَتِهِ) ؛ فَيَسْتَأْتِفُ
صِيَاحَهُ مُفْرَعًا ، وَهَوْلَ مُوَلُّوَلَا مُرَوَّعًا :
« لَقَدْ خَدَعَنِي مَا نَمَقَّتْ (مَا زَيَّنَتْ) بِنْتَائِي مِنَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ
دَهَانِي مَا دَهَانِي (أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي) ، جَزَاءَ مَا صَنَعْتُ فِي الْإِنْخِدَاعِ
بِهَا . قَيَّأَيْتُهَا الرِّيَّاحُ : اشْتَدَّى حَتَّى تَنَسِي (تُدْمِرِي) الشَّامِخَاتِ
(الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ) . » ثُمَّ أُنْشَدَ :

« لِيرُ الَّذِي أَغْرَاهُ مَا نَمَقَّتْ بِنْتَاهُ
دَهَاهُ مَا دَهَاهُ جَزَاءَ مَا أَمْضَاهُ
وَقَدَّمْتُ يَدَاهُ

دَوِّي رِيَا حَا قَاصِفَةً وَأَلْهِيهَا عَاصِفَةً
لِلشَّامِخَاتِ نَاسِفَةً . »

٤ - آلامُ الشَّيْخِ

وَهَكَذَا قَضَى الشَّيْخُ كَلِمَةً مُرَوَّعَةً ، وَهُوَ هَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ ،
كَأَنَّهُ نِصْفُ مَجْنُونٍ ، مِمَّا لَحِقَهُ مِنَ الْآلَامِ الْمُبْرَحَةِ (الْمُضْنِيَةِ) ،
وَالْأَخْدَاتِ الْهَائِلَةِ .

وَلَقَدْ بَدَلَ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ « كُنْتُ » كُلَّ مَا فِي وَسْعِهِ ، لِلتَّرْفِيهِ
(لِلتَّخْفِيفِ) عَنْ مَلِكِهِ ، وَتَهْوِينِ مُصَابِهِ عَلَيْهِ ، مَا وَسِعَتْهُ حِيلَتُهُ .
وَافْتَنَّ « الْبُهْلُولُ » فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ ؛ لِيُذْهِلَّهُ عَنْ نَكَبَتِهِ ، وَيُنْقِذَهُ مِنْ
هَوْلِ الْجُنُونِ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ ، كَمَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَقْبَلَ
رَجَاءَهُ ، فَيَأْوِيَ مَعَهُ إِلَى خُصْيٍ (يَنْتِ مِنَ الشَّجَرِ) قَرِيبٍ ، حَتَّى
تَنْتَهِيَ تِلْكَ الْمَوَاصِفُ الْهُوجُ (الثَّائِرَةُ) .

وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى أَطَاعَهُ ، وَسَارَ مَعَهُ مُيَمَّمًا (قَاصِدًا) ذَلِكَ
الْكُوْخَ ، وَهُوَ يُنَاجِي نَفْسَهُ مَحْزُونًا : « أَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تَطْرُدُنِي
بِنْتَائِي ؟ أَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تُغَلِّقُ دُونِي أَبْوَابَهُمَا ؟

وَاهِ مِنْكَ يَا « رِيْجَانُ » ، وَتَبَّأُ (هَلَاكَا) لَكَ يَا « جُنْدِيلُ » !

أَهْكَذَا تَجْزِيَانِ بِالْجُحُودِ أَبَا كَمَا الشَّفِيقَ ، الَّذِي وَهَبَكُمَا كُلَّ
مَا مَلَكَ ؟ إِنَّ عَاصِفَةَ الْجَوِّ - عَلَى قَسَوَتِهَا - لَأَهْوَنُ مِنْ هَذِهِ
الْعَاصِفَةِ الَّتِي أَثَرْتُمَا فِي نَفْسِ أَيْكُمَا ، بِمَا أَسْلَفْتُمَا (قَدَّمْتُمَا) إِلَيْهِ
مِنْ جُحُودٍ وَعُقُوقٍ ! »

وَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْخُصِّ ، قَالَ الْمَلِكُ « لِير » :

« إِنَّ أَحَقَرَ الْأَشْيَاءِ لِيُصْبِحُ عَظِيمَ الْقَدْرِ ، جَلِيلَ الْخَطَرِ ، مَتَى
اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ . فَلَا عَجَبَ إِذَا عَدَدْنَا (قَدَّرْنَا) الظَّفَرَ بِهَذَا
الْخُصِّ غُنْمًا كَبِيرًا ، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ ! »

هـ - أَنْشُودَةُ « الْبُهْلُولِ »

وَاسْتَمَعَ الْمَلِكُ « لِير » إِلَى صَوْتِ مُغْنٍ يَقْتَرِبُ مِنْهُ ؛ فَالْتَفَتَ ،
فَإِذَا بِهِ « الْبُهْلُولُ » ، يَتَظَاهَرُ بِالشُّرُورِ ، وَيَتَكَلَّفُ الْمَرَحَ (شِدَّةَ
الْفَرَحِ) ، وَيَلْتَفِتُ إِلَى مَوْلَاهُ مُنْشِدًا :

« قَسَمْتُ - بِالْأَمْسِ - مُلْكًا يَا « لِير » ، أَظْلَمَ قِسْمَهُ !
أَقْصَيْتُ كُلَّ عَلِيمٍ جَهْلًا ، وَأَنْكَرْتَ عِلْمَهُ
وَرُحْتَ تُدْنِي لَيْثِمًا بِالْمَدْحِ يَسْتُرُ لَوْثَمَهُ

يَا مُطْفِئَ النُّورِ : مَهْلًا ، شَرَيْتَ بِالنُّورِ ظُلْمَهُ ! »
قَالَ الشَّيْخُ مَذْهُوشًا :

« نَعَمْ : لَقَدْ أَقْصَيْتُ (أَبْعَدْتُ) الْعَلِيمَ ، وَأَذْنَيْتُ (قَرَّبْتُ)
اللَّيْثِمَ . لَقَدْ أَحْسَنْتَ التَّعْيِيرَ عَمَّا كُنْتُ أَفْكُرُ فِيهِ الْآنَ ، وَصَدَقْتَ
فِي إِظْهَارِ مَا نَاجَيْتُ بِهِ نَفْسِي (مَا حَدَّثْتُهَا سِرًّا) فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ .
فَمَا أَبْرَعَكَ بِأَكْبَارِ وَمُغْنِيًا ، وَمَا أَظْرَفَكَ جَادًّا وَهَازِلًا ! »

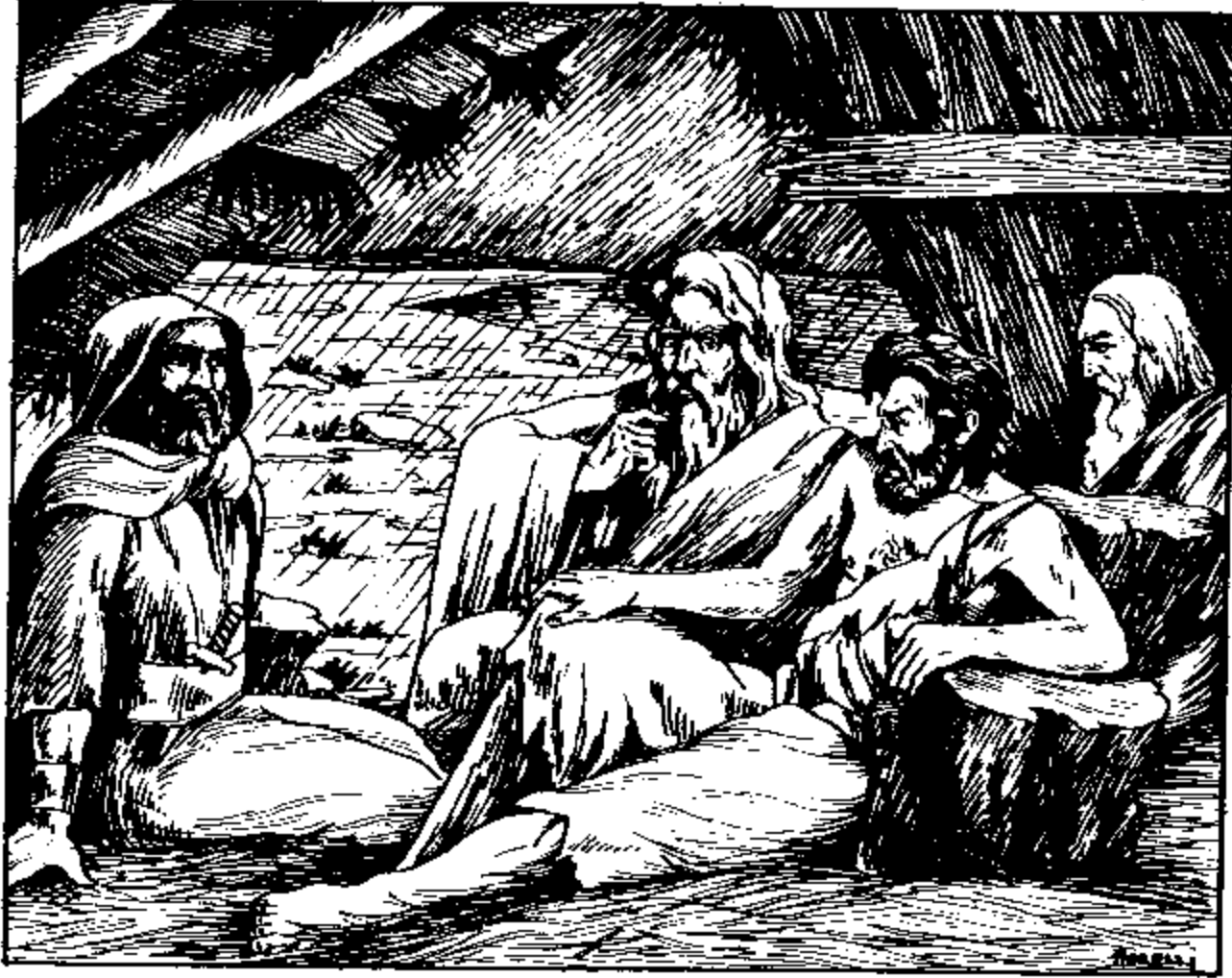
قَالَ « الْبُهْلُولُ » : « إِنِّي أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِعَهْدِكَ ، وَأَخْلَصُ
الْأَصْدِقَاءَ لَكَ . وَإِنِّي ذُو عَزْمٍ قَوِيٍّ ، وَهَمَّةٍ عَظِيمَةٍ ، وَرَأْيٍ صَائِبٍ .
وَلَوْ تَرَكْتَنِي أَخْكُمْ وَأُبْرِمُ (أَجْعَلُ حُكْمِي نَافِذًا) ، لَقَسَمْتُ مُلْكَكَ
قِسْمَةً عَادِلَةً حَكِيمَةً . »

ثُمَّ اسْتَأْنَفَ « الْبُهْلُولُ » غِنَاءَهُ مُنْشِدًا :

« بُهْلُولُ : مَجْنُونُ « لِير » أَبْرُ عَنْهُدًا وَذِمَّةً
أَوْفَى الْأَخِيْلَاءِ قَلْبًا وَأَصْدَقُ الصَّحْبِ عَزْمَةً
وَأَحْسَنُ الْقَوْمِ رَأْيًا وَأَبَدُ النَّاسِ هِمَّةً
لَوْ كَانَ مَجْنُونُ « لِير » يَقْضِي ، وَيُبْرِمُ حُكْمَهُ
لَكَانَ أَعْدَلُ قِسْمَةً مِنْهُ ، وَأَوْفَرُ حِكْمَهُ .

٧ - الأمير الوفي

وما استقرَّ بهمُ المقامُ ، حتى رأوا شيخًا يجوسُ خلالَ الغابةِ
(يَمُرُّ في طُرُقَاتِهَا) ، وفي يَدِهِ مِشْعَلٌ يُنِيرُ لَهُ طَرِيقَهُ فِي الظَّلامِ الْحَالِكِ .



وما تَيَّيَنَ الْوَزِيرُ « كُنْتُ » ذَلِكَ الشَّيْخَ الْقَادِمَ ، حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ
الْأَمِيرُ « جُلَسْتَر » . فَسَأَلَهُ عَنْ سَبَبِ مَقْدَمِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ .

٦ - شيطان الغابة

وَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ وَرَفِيقَاهُ ذَلِكَ الْخُصَّ ، أَسْرَعَ « الْبُهْلُولُ » إِلَى دُخُولِهِ
لِيَرْتَادَهُ (لِيَتَعَرَّفَهُ وَيَخْتَبِرَهُ) لِصَاحِبِيهِ . وَمَا كَادَ يَفْعَلُ حَتَّى عَادَ
إِلَيْهِمَا مُسْرِعًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

« حَذَارِ أَيُّهَا الرَّفِيقَانِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الْخُصِّ شَيْطَانًا
مَرِيدًا (عَنِيدًا قَاسِيًا) . وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ اسْمَهُ « تَوْم » ، وَيُلَقَّبُ
قَسَمُهُ بِالْمِسْكِينِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهِ سِمَةَ الْخَبَالِ (عَلَامَةَ الْجُنُونِ) ؛
فَهُوَ مَخْبُولٌ إِنْ كَانَ إِنْسِيًّا (مِنْ النَّاسِ) ، وَإِذَا صَدَقَ حَدِيثِي
(تَخْمِينِي) ، وَصَحَّ ظَنِّي ، فَمَا هُوَ إِلَّا شَيْطَانُ هَذِهِ الْغَابَةِ . »

فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْخُصِّ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الْمِسْكِينُ ، وَجَدُوهُ أَشْعَثَ
أَغْبَرَ (مُتَلَبِّدَ الشَّعْرِ ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ الْعُبَارِ) ، عَارِيَ الْجِسْمِ إِلَّا مِنْ
أَسْمَالٍ بَالِيَةٍ (أَثْوَابٍ مُهْلَهَلَةٍ قَدِيمَةٍ) ، تَلَوُّحُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْبُؤْسِ .
فَصَاحَ بِهِ الْمَلِكُ « لِير » : « مَاذَا بَكَ ، أَيُّهَا الشَّقِيُّ الْمِسْكِينُ ؟ هَلْ
طَرَدَتْكَ ابْنَتَاكَ مِنْ بَيْتِكَ ، بَعْدَ أَنْ أَوْرَثْتَهُمَا إِيَّاهُ ؟ »

فَأَجَابَ الرَّجُلُ مُتَبَالِهًا ، مُتَغَابِيًا : « أَنَا : تَوْمُ الْمِسْكِينِ . فَهَلُمُّوا
إِلَى بَيْتِي ، أَيُّهَا الرَّفَاقُ . »

فَقَالَ لَهُ : « لَقَدْ طَالَ بَحْثِي عَنِ الْمَلِكِ « لِير » ؛ لَأَوْيَهُ (أَضِيفَهُ)
فِي بَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْ قَصْرِي ؛ حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الَّذِينَ
يَتَرَبَّصُونَ بِهِ (يَنْتَظِرُونَ لَهُ الشَّرَّ) . وَإِنِّي لَيَحْزُنُنِي مَا أَرَاهُ عَلَيْهِ
مِنْ أَمَارَاتِ الْخَبَالِ (عِلَامَاتِ ضَعْفِ الْعَقْلِ) . »

فَقَالَ لَهُ « كُنْتُ » : « لَقَدْ أَصْبَحَ الشَّيْخُ أَقْرَبَ إِنْسَانٍ إِلَى الْجُنُونِ . »
فَقَالَ الْأَمِيرُ : « إِنَّ نِصْفَ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ (الْمَصَائِبِ)
لَيُسْلِمُ الْعَاقِلَ إِلَى الْجُنُونِ . »

٨ - فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ

وَبَعْدَ حِوَارٍ (حَدِيثٍ) طَوِيلٍ ، ذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى الْبَيْتِ الرَّيْفِيِّ
الَّذِي أَعَدَّهُ الْأَمِيرُ لِمُسْكِنَاهُمْ قَرِيبًا مِنْ قَصْرِهِ . ثُمَّ تَرَكَهُمْ مُسْتَأْذِنًا
عَلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ . وَجَلَسَ « لِير » مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ
عَادَ إِلَيْهِ خَبَالُهُ وَهَذْيَانُهُ ؛ فَتَمَثَّلَ نَفْسَهُ قَاضِيًا يُحَاكِمُ بَنَاتِهِ ، وَيَجْزِيهِمَا
بِمَا أَسْلَفَتَاهُ (قَدَّمَاهُ) إِلَيْهِ مِنْ إِسَاءَةٍ وَعُتُوقٍ .

وَمَا زَالَ يَهْدِي حَتَّى خَارَتْ قُوَاهُ ، وَزَايَلَهُ رُشْدُهُ (فَارَقَهُ هُدَاهُ) ،
وَأَسْلَمَهُ الضَّنَى (سُوءُ الْحَالِ) وَالضَّعْفُ إِلَى نَوْمٍ عَمِيقٍ .

الفصل الرابع

١ - الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر »

أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ :

لَا شَكَّ فِي أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر »
الَّذِي عُنيَ (اِهْتَمَّ) بِالْمَلِكِ « لِير » ، وَبِذَلِكَ كُلِّ مَا فِي قُدْرَتِهِ مِنْ
رِعَايَةٍ وَإِكْرَامٍ . وَإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ بِبَعْضِ حَدِيثِهِ الْمُحْزَنِ ؛ لِتَعْرِفَ
مَكَانَهُ مِنْ شُخُوصِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْخَالِدَةِ .

كَانَ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَر » شَدِيدَ الْوَفَاءِ لِمَلِكِهِ « لِير » . وَقَدْ حَزَنَ
لِمَا أَصَابَهُ مِنْ نَكَبَاتٍ وَأَحْدَاثٍ ، وَبَكَى لِعَثْرَتِهِ (لِسَقَطَتِهِ) . وَلَمْ
يَكُنْ يَمْدِلُهُ (يُسَاوِيهِ) - فِي إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ لَهُ - غَيْرُ « كُنْتُ » :
الْوَزِيرِ ، وَ« كُرْدِلِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِ الْمَلِكِ « لِير » .

٢ - وَلَدَا الْأَمِيرَ

وَكَانَ لِهَذَا الْأَمِيرِ الْمُخْلِصِ الْوَفِيِّ وَلَدَانِ ، اسْمُهُمَا : « إِدْجَار »
وَاسْمُ الثَّانِي : « إِدْمُنْد » . فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَ مِثَالَ الْوَفَاءِ ، وَأَمَّا أَخُوهُ

فكان مثال العقوق . ولم يكن الثاني - على الحقيقة - ولده الأمير « جُستَر » ؛ ولكنه كان مُنتسباً إليه ؛ لأنه تبنّاه (اتخذهُ ابناً) - مُنذُ نشأته - وجعله صينواً (أخاً) لابنه « إدجار » ، وبذل له كل ما يملك من رعاية وتهذيب .

فلما كبر « إدْمُنْدُ » نسي كل ما حباه به الأمير « جُستَر » (ما أعطاه إياه) ، ولم يكن له غرض يسعى إلى تحقيقه ، غير الوشاية (السعي بالسوء) بأخيه ، وإيفار صدر أبيه (إشغاله غيظاً) عليه ؛ ليستأثر وخذهُ بكل شيء .

٣ - فرار « إدجار »

ودبر ذلك الولد القادر : « إدْمُنْدُ » مؤامرة خبيسة لإقصاء صاحبه (إبعاده) عن أبيه ؛ فأوهم الأمير أن ولده « إدجار » ياتمر به (يشاور نفسه فيه) ، ليقْتله طمعاً في ثروته العظيمة ، ومنصبه الخطير . وما زال يُغريه (يُطمِئنه) ويؤْلِبُه (يُثيره) ، حتى أقنعهُ بِصدق ما افتراه (ما اختلقه) ، بعد أن قرأ عليه كتاباً

زوره وعزاه (نسبهُ) إلى أخيه . وقد أفلحت مؤامرته - بعد قليل - فهرب أخوه « إدجار » ، فراراً من سُخط أبيه الذي توقعه بالقتل ، دون أن يعرف لغضبه سبباً .

ومنذ ذلك اليوم ، تزيّاً « إدجار » بزيّ الفقراء ، وتظاهر بالبله والجنون ، وغير من هيئته ، وأطلق على نفسه اسم : « توم المسكين » ، الذي قال عنه « ألبهلول » : « إنه شيطان الغاية . » كما ذكرته لك ، فيما قصصته عليك من أنباء الفصل السابق .

٤ - مُستشار المملكة

كان « إدْمُنْدُ » شديد الطُموح (عظيم الرغبة في العلو) ، وكان يجمع - إلى دهائه (مكره) وذكاؤه - من خُبث الطبع ولوم النفس : مالا يخطرُ لِإنسانٍ على بال . وقد ابتهج لتجاحه في مؤامره الخبيسة التي دبرها لإقصاء أخيه ، وأغراه (زين له) ذلك الفوز بمضاعفة هِمته ، لتحقيق غايته البعيدة ؛ وهي ارتقاء العرش والظفر (الفوز) بالملك . وقد استولت هذه الغاية عليه

وَتَمَلَّكَتْ تَفَكُّيرَهُ ، وَامْتَزَجَتْ بِدَمِهِ ، وَهَيَمَتْ (تَغَلَّبَتْ) عَلَى قَلْبِهِ : فَأَصْبَحَ لَا يُبَالِي أَقْدَارَ الشُّعْرِ وَالْأَنَامِ (ارْتِكَابَ الْقَبَائِحِ وَالْجَرَائِمِ) ، فِي سَبِيلِ بُلُوغِ أَمْنِيَّتِهِ .

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَصْبَحَ مُسْتَشَارَ الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا ، وَمَوْضِعَ رِقَّةِ الْأَخْتَيْنِ جِيئًا . وَثُمَّ بَدَأَ يُوعِزُّ صَدْرَ « جُرَيْل » وَ« رِيحَان » عَلَى أَيْهِمَا . وَمَا زَالَ يَرْسُمُ لِهَمَا الْخُطَّةَ لِلْخَلَاصِ مِنْهُ ، وَيُزَيِّنُ لِهَمَا ذَلِكَ ، حَتَّى أَقْصَتْاهُ عَنْهُمَا ، وَخَلَا الْجَوُّ لِذَلِكَ الْمُسْتَشَارِ الْمَاكِرِ الْخَيْثِ .

٥ - الْجَاؤُسُ

وَلَمْ يَقِفْ لَوْثُ طَوَيْتِهِ (خُبْتُ نَيْتِهِ) عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ؛ فَرَاخَ يَنْقُلُ إِلَى بَنَتِي « لَيْر » أَخْبَارَ الْأَمِيرِ « جُلُوسْتَر » ، الَّذِي تَبَنَاهُ وَتَعَهَّدَهُ مِنْذُ نَشَأَتِهِ ، وَرَبَّاهُ فِي حَدَائِثِهِ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ الْأَمِيرِ أَنَّ « إِدْمَنْد » - أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَالصِّقَمُ بِهِ - يَتَجَسَّسُ أَخْبَارَهُ ، وَيُخْصِي (يَدُّ) عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ ، لِيُلْفِئَهَا أَعْدَاءَهُ .

وَقَدْ عَرَفَ « إِدْمَنْد » - مِنْ مُحَادَثَةِ الْأَمِيرِ - أَنَّهُ يَعْتَزِمُ الْعُودَةَ

إِلَى الْمَلِكِ « لَيْر » ؛ لِيُبَصِّرَ رَفِيقَهُ « كَنْت » بِمَا يَتَهَدَّدُ مَلِيكَهُ مِنْ أخطارٍ ، وَيُوصِيَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى « دُوفَر » ، حَيْثُ تُقِيمُ « كُرْدِلِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِ « لَيْر » ؛ لِيَفْضِيَ إِلَيْهَا (لِيُخْبِرَهَا) بِمَا لَقِيَهُ أَبُوهَا ، وَبِمَا لَا يَزَالُ يَلْقَاهُ ، مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ .

٦ - نَصِيحَةُ الْأَمِيرِ

وَلَمَّا خَرَجَ الْأَمِيرُ « جُلُوسْتَر » مِنْ قَصْرِهِ ، عَائِدًا إِلَى « الدَّسْكَرَةِ » (الْقَرْيَةِ) الَّتِي أَوْدَعَ فِيهَا « لَيْر » ، وَأَصْحَابَهُ ، أَفْضَى إِلَيْهِمْ بِمَا يُسَاوِرُهُ مِنْ قَلَقٍ عَلَى حَيَاةِ الْمَلِكِ . وَأَلَحَّ عَلَى الشَّيْخِ « لَيْر » فِي أَنْ يُسَافِرَ إِلَى « دُوفَر » ؛ حَيْثُ يَلْقَى - مِنْ رِعَايَةِ بَنَتِهِ الْبَارَةِ « كُرْدِلِيَا » وَعِنَايَتِهَا - مَا هُوَ خَلِيقٌ (جَدِيرٌ) بِهِ ، وَزَوْدُهُ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ . وَقَدْ أَدْرَكَ الْوَزِيرُ « كَنْت » مَا يَتَهَدَّدُ « لَيْر » مِنَ الْأخطارِ ؛ فَاسْرَعَ إِلَى تَنْفِيذِ مَا أَوْصَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ « جُلُوسْتَر » قَبْلَ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ .

٧ - نَكْبَةُ الْأَمِيرِ

وما عادَ الأميرُ « جُلُستَر » إلى قَصْرِه ، حتَّى قَبِضَتْ عليه « رِيجَانُ » وزوجُها و « جُنْدِيلُ » أُخْتُها ، بعد أن عَرَفُوا من « إِدْمُنْدَ » النَخِيشِ ، كلَّ ما أَسَدَاهُ (قَدَّمَهُ) الأميرُ إلى المَلِكِ « لِير » من صَنِيعِ مَشْكُورٍ .

وَأَشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَى الأميرِ الْكَرِيمِ ؛ فَأَوْتَقُوا كِتَافَهُ ، وَصَفَّدُوهُ (وَضَعُوهُ فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ) . وَتَمَادَوْا فِي الْإِسَاءَةِ وَالتَّكْلِيفِ بِهِ (تَعْذِيبِهِ) وَشَتَمِهِ ، ثُمَّ نَتَقُوا شِعْرَاتِ مِنْ لِحْيَتِهِ . فَلَمَّا غَضِبَ وَثَارَ لِكِرَامَتِهِ ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الرَّعَايَةِ ، زَادَتْ قَهَمَتُهُمْ عَلَيْهِ . فَقَدَّمَ إِلَيْهِ زَوْجُ « رِيجَانِ » ، وَأَخْرَجَ عَيْنِيهِ : وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى ؛ فَصَرَخَ الْأَمِيرُ مُغَوَّنًا (مُسْتَفِئًا) ، بَعْدَ أَنْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ . فَتَحَمَّسَ لِنُصْرَتِهِ أَحَدُ خَدَمِهِ ، وَطَعَنَ الْجَانِيَّ الْأَثِيمَ طَعْنَةً قَاتِلَةً ، أَنْتِصَارًا لِمَوْلَاهُ ، وَانْتِقَامًا لَهُ مِنْ أَعْمَاهُ . وَقَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ (مَاتَ) ذَلِكَ النَّدَامُ الشُّهُمُ فِي سَبِيلِ الْوَاجِبِ النَّبِيلِ .

أَمَّا الْأَمِيرُ « جُلُستَر » ، فَقَدْ أَلْقَوْا بِهِ خَارِجَ الْقَصْرِ ، دُونَ أَنْ تُذَرِكَهُمْ شَفَقَةٌ بِهِ ، وَلَا رَحْمَةٌ عَلَيْهِ .

٨ - الزَّارِعُ وَالْأَمِيرُ

وَيَمْشِي الْأَمِيرُ خُطَوَاتٍ قَلِيلَةً عَلَى غَيْرِ هُدًى ، فَيَلْقَاهُ شَيْخٌ فِي الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ ؛ فَيَسْأَلُهُ الشَّيْخُ مَحْزُونًا عَمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ . فَيَرْجُوهُ الْأَمِيرُ أَنْ يَتَّعِدَّ عَنْهُ حَتَّى لَا يُصِيبَهُ مِنْ أَجَلِهِ سُوءٌ ، فَيَقُولُ لَهُ الشَّيْخُ :

« أَحْبِبْ بِكُلِّ مَا أَلْهَاهُ مِنْ أَدَى وَضُرِّ فِي سَبِيلِكَ ؛ قَدْ نَشَأْتُ فِي نِعْمَتِكَ ، وَعِشْتُ مِنْ غَلَّةِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَأْجَرْتُهَا مِنْكَ وَمِنْ أَيْكَ . وَلَنْ أَتْرُكَكَ وَحِيدًا ، بَعْدَ أَنْ قَدَدْتُ نُورَ عَيْنَيْكَ ، وَعَجَزْتُ عَنْ تَعْرِفِ الطَّرِيقِ . »

قَالَ لَهُ « جُلُستَر » : « لَقَدْ تَعَثَّرْتُ فِي طَرَفِي حِينَ كُنْتُ أُبْصِرُ ، وَأَخْطَأْتُ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا رَأَيْتُ ، وَلَمْ تَنْصِبْنِي (لَمْ تَحْفَظْنِي) عَيْنَايَ مِنَ الْخَطَا . فَلَعَلِّي أَعُودُ إِلَى الصَّوَابِ وَأَنَا أَعْمَى ، فَلَا أَسْرَعَ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا يُحِيطُ بِي مِنَ الْأَشْيَاءِ . »

٩ - الأمير والمجنون

ولقيهما في طريقهما « توم المسكين » ، وهو يتظاهر بالمجنون كعادته . ولعلك الآن قد عرفتُه ، بعد أن أسلفت لك القول : إنه « إدجار » ولد الأمير ، الذي وُشي به أخوه « إدْمند » .

ورأى الولد البرّ الوفي ما أصاب والده من النكبات ؛ ففاض قلبه لوعة (حُرقة) وحزنًا . ولكنّه آثر (فضّل) التجلّد والصبر ؛ حتى لا يَفْطُن أبوه إلى حقيقة أمره فتكشف حيلته .

وقد ألع الأمير على الشيخ الزارع أن يُسلمه إلى ذلك المسكين . فقال له الشيخ : « وكيف أُسلمك إلى مجنون ؟ »

فأجابه الأمير : « لقد أصبح من كُنّا نحسبهم عقلاء ، خادعين مُضللين في هذه الأيام السود . ولعلّ أجد في هدى (في رأى) من نحسبهم مجانين : خيرًا مما وجدته في هدى أولئك المتظاهرين بالتعقل والحكمة . فإذا شئت أن تُسدى إلى جميلًا (تصنع معي معروفًا) ، فأخضر ثيابًا لتكسو بها ذلك العارى المسكين . »

قال له الزارع : « سأخضر له خير ما عندي من الثياب . »

١٠ - حوار الأمير وولده

وسار الأمير مع ولده « إدجار » ، الذي كان لا يزال يتظاهر أمام أبيه بأنه مجنون ، حتى لا يَفْطُن إلى حقيقته .

وسأله الأمير : « أتعرف الطريق - يا فتى - إلى « دوفر » ؟ » فقال له : « أعرف كل خافية من خوافيها ، ولا أجهل شيئًا من

معالمها ومجايلها . »

فقال له : « بربك : سرّ معي حتى تبلغ بي الصخرة العالية التي تُعرف (تطلّ) على البحر من قمة الجبل ؛ لألقى بنفسي من ذلك الملوّ الشاهق ؛ فأخلص مما أكايدُهُ من الآلام المبرّحة (الموجهة) . »

وخذ هذا الكيس بما فيه من مال ، مكافأة لك على ذلك . »

فتظاهر ولده ببطاعته ، وما زال يمشي معه حتى بلغ به صخرة قليلة الارتفاع في سفح الجبل . فقال له : « ما أبعد هذه القمة الشاهقة عن سطح البحر ! إنّي لأرى أحد الصيادين وهو

واقفٌ على الشاطئ ؛ فيُخِيلُ إِلَى - مِنْ فَرَطِ الْعُلُوِّ - أَنَّهُ فَأَرَةٌ
صَغِيرَةٌ ، وَارَى الْمَرَائِبَ الْكَبِيرَةَ ؛ فَلَا أَكَادُ أُتَيِّنُ رَسْمَهَا ، لَفَرَطِ



ضَالَّتْهَا (شِدَّةٌ صَغِيرًا) ، وَحَقَارَةُ أَحْجَامِهَا ! هَلَمْ - يَا سَيِّدِي - فَاقْضِرْ
كَمَا تُرِيدُ !

وَلَقَدْ خِيلَ إِلَى الْأَمِيرِ أَنَّ مُحَدَّثَهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ ؛ فَتَقَرَّرَ مِنَ
الصَّخْرَةِ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ ، دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ سُوءٌ .

وَأَقْبَلَ وَلَدُهُ «إِدْجَارُ» ، وَقَدْ غَيَّرَ مِنْ صَوْتِهِ ، مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ شَخْصٌ
آخَرُ ؛ فَقَالَ لَهُ : « كَيْفَ هَوَيْتَ - يَا عَمُّ - مِنْ ذَلِكَ الارتفاعِ
الشَّاهِقِ ، دُونَ أَنْ يَدُقَّ عُنُقُكَ (تَكْسِيرَ رَقَبَتِكَ) ، وَتُسْحَقَ عِظَامُكَ ؟ »
فَعَجِبَ الْأَمِيرُ مِمَّا سَمِعَ ، وَقَالَ لَهُ : « مِنْ أَيِّ أَرْتِقَاعٍ هَوَيْتَ
(سَقَطْتَ) ؟ » فَأَجَابَهُ «إِدْجَارُ» مُتَظَاهِرًا بِاللَّهْشَةِ وَالْعَجَبِ :

« أَلَا تَعْرِفُ مَدَى الْهُوَّةِ السَّحِيقَةِ (مَقْدَارَ الْحُفْرَةِ الْعَمِيقَةِ) الَّتِي
تَرَدَّيْتُ (سَقَطْتُ) فِيهَا ؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ - مِنْذُ لَحْظَةٍ بِسِيرَةٍ - وَأَنْتَ
فِي عَالِيَةِ هَذَا الْجَبَلِ الشَّاهِقِ ، وَمَعَكَ مَخْلُوقٌ عَجِيبٌ ، تَبْدُو عَيْنَاهُ
كَأَنَّهَا - لَشِدَّةٌ اتَّسَاعِيهَا - قَمَرَانِ مُسْتَدِيرَانِ ، وَقَدْ خِيلَ إِلَيَّ أَنَّ
لَهُ أَلْفَ وَجْهِ . وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ (خَائِثٌ) . فَلْتَهْنَأْ
بِنَجَاتِكَ مِنْهُ ، وَلْتَفْرَحْ بِمَا ظَفِرْتَ بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ ؛ فَمَا أَشْكُ فِي أَنَّ
الْعَنَاءَ الْإِلَهِيَّةَ تَصْحَبُكَ وَتَحْرُسُكَ . »

١١ - فِي الْحُقُولِ

وإِنَّهُمَا لَيَسِيرَانِ فِي الْحُقُولِ ، إِذْ لَقِيَهُمَا الْمَلِكُ «لِيرُ» ، وَقَدْ عَقَدَ

عَلَى رَأْسِهِ تاجًا مِنَ الْأَزْهَارِ الْبَرِّيَّةِ . فَلَمَّا حَيَّاهُ « إِدْجَارُ » ، أَنْشَأَ « لِير »
يَهْدِي وَيُجَنِّمُ الْقَاطِلَ لَا مَعْنَى لَهَا . فَعَرَفَهُ الْأَمِيرُ « جُلَيْسَر » - حِينَ سَمِعَ
صَوْتَهُ - وَسَأَلَهُ قَائِلًا : « تُرَى مَنْ أَرَى ؟ أَلَسْتَ الْمَلِكُ « لِير » ؟ »



فَأَجَابَهُ : « إِنَّ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِي (كُلُّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِي) ،
وَكُلَّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعَرَاتِ جِسْمِي ، لَتَنْطَلِقُ صَارِخَةً مُجَدِّتَةً : أَنِّي



الملك « لير » . أما أنت ، فما أظنك إلا بنتي « جنريل » ، برغم هذه اللحية البيضاء .

ثم استولى الخبال والهديان عليه مرة أخرى . فحزن الأمير لما حدث ، وهان عليه ما حلَّ به من أحداثٍ وخطوبٍ ، بعد أن رأى ما بلغه الملك « لير » من سوء المآل (العاقبة) .

١٢ - عودة المخلصة

هدأت العواصفُ الشائرة ، وسكنتِ الرعودُ المدوية ، وتشتت (زالت) السحبُ المتلبدة ، وظهرت السماءُ صافيةً بعد أن حجبتها الغيومُ . وعادتِ البنتُ الوفيَّةُ « كزديا » في جيشها العظيم ، لتقذَّ أباهما مما يُعانيه من الأهوالِ والكوارثِ . وكانت قد علمت من الوزيرِ المخلص : « كنت » ، ما عاناهُ الشيخُ « لير » من الخطوبِ والمحنِ . فأخبرت زَوْجَهَا : ملك « فرنسا » ، تلكَ القصةَ المفزعَةَ ؛ فلم يترددْ في إعدادِ جيشٍ كبيرٍ ، لتأديبِ أختيها الغادرتين ، والتَّنْكِيلِ بهما (جعلهما نكالا وعبرة) ؛ جزاء ما أسلفناه إلى أبيهما « لير » ، من إساءةٍ وجحودٍ .

وما كان أسرعَ « كزديا » : صغرى النبات ، وأوقاهن عهدًا ، وأكرمهن قسا ، إلى نجدة أبيها . فقد فادرت « دوفر » - من فورِها - وما زالت تجدُّ في سَيرِها ، حتى وصلت إلى أبيها ، وهي أشوق ما تكونُ إلى لقائه ، ولثم يديه (تحبيلهما) ، والإعتذارَ له مما كابدَه (قاساه) من عُقُوقِ بنتيه ، وما لقيه على أيديهما من إذلالٍ وهوانٍ .

١٣ - نصيحة الطبيب

وما وصلت إليه ، حتى وجدته مُستغرقًا في سباتٍ (نومٍ) عميقٍ . قالَ لها الطبيبُ : « أتأمرين - يا مولاتي - أن أنبهه ؟ » فقالت له : « ليس لي أن آمرَ بما ليس لي به علمٌ . فافعل ما يُوحيه إليك طبُّك ، وتقذ ما تُشيرُ به عليك خبرُك وتجارُك » . قالَ الطبيبُ : « أرى أن نوقفه على عزفِ الموسيقى ، بعد أن نكسوه حلةً جديدةً (ثوبًا لم يُلبس) . ومتى استيقظَ على الألحانِ المشجية (المطربة) ، كنتِ أولَ مَنْ يراه ؛ فلا يلبثُ أن يعودَ إليه

رُشْدُهُ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يُفَارِقَهُ . وَإِنْ فِي مُعَادَتِهِ جِلَالَتِكَ إِيَّاهُ ، لَدَوَاهُ
أَنْجَعَ (أَشْفَى) لَهُ مِنْ كُلِّ دَوَاهٍ .

١٤ - مُنَاجَاةُ « كُرْدِلِيَا »

قَالَتْ « كُرْدِلِيَا » : « اصْنَعْ - لِشِفَائِهِ - مَا تَشَاءُ ، وَابْذُلْ
فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَا تَسْتَطِيعُ ، بِلَا إِبْطَالٍ .
وَلَمَّا عَزَفَتِ الْمَوْسِيقَى ، دَبَّتِ الْبَقِظَةُ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ شَيْئًا فَشِئًا ،
حَتَّى أَفَاقَ مِمَّا غَشِيَهُ (مِمَّا أَصَابَهُ) ، وَاسْتَنَقِظَ مِنْ سُبَاتِهِ الْعَمِيقِ .
وَكَانَتْ « كُرْدِلِيَا » شَدِيدَةَ الْوَعَةِ لِمَا أَصَابَ وَالِدَهَا الْكَرِيمَ
مِنْ هَوْلِ تِلْكَ الْعَاصِفَةِ الْهَوَاجِاءِ الَّتِي أَضْعَفَتْ جِسْمَهُ ، وَأَزْهَقَتْ
(أَتْعَبَتْ) أَعْصَابَهُ ؛ فَوَقَّتْ تَتَأَمَّلُ وَجْهَهُ الْحَزِينَ ، وَتُنَاجِيهِ
مُتَلَاعَةً (مُتَأَلِّمَةً) ، وَهِيَ تَقُولُ :

« أَهْكَذَا تَجْزِيكَ بِالْعُقُوقِ وَالْقَدَرِ بِنْتَاكِ ، جَزَاءَ مَا أَسْلَفْتَ
إِلَيْهَا بِالْخَيْرِ يَدَاكِ ؟ أَهْكَذَا تَبْلُغُ قَسْوَةَ الْقَلْبِ مِنْهُمَا أَنْ تُسَلِّمَكَ
إِلَى الرِّيحِ الْعَاتِيَةِ ، وَالرُّعُودِ الْمَدْوِيَةِ ؟ »

ثُمَّ أُنْعَمَتِ النَّظَرَ فِي وَجْهِ الشَّيْخِ ، وَقَدَرِ اشْتَدَّتْ لَوْعَتُهَا وَحُزْنُهَا ،
قَالَتْ : « كَيْفَ رَضِينَا لِهَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَهْوَالِ الْعَوَاصِفِ
الْهَوَاجِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ غِطَاءٍ يَقِيهِ غَائِلَةُ الْبَرْدِ (شِدَّتُهُ) غَيْرُ تِلْكَ
الشَّعْرَاتِ الْمُبِیضَةِ الرَّقِيقَةِ ؟ شَدَّ مَا كَابَدَتْ - يَا أَبْتَ - مِنْ الْهَوَلِ
وَالضَّغْنِ (الْمَرْضِ) . وَشَدَّ مَا أَسَأْتُهَا ، أَيُّهَا الشَّقِيقَتَانِ !

أَمَّا لَوْ أَنَّ لِي عَدُوًّا لَدَوْدًا أَغْرَى بِإِذْنِي كَلْبًا ضَارِيًا حُقُودًا ، فَضَعْنِي
دُونَ أَنْ أُسْلِفَ إِلَيْهِ إِسَاءَةٌ ، ثُمَّ لَقِيتُ الْكَلْبَ الشَّرِسَ فِي تِلْكَ
الْأَيَّامِ الْآبِلَاءِ (الشَّدِيدَةِ الظُّلْمَةِ) ، وَقَدْ نُبَذَ بِالْعَرَاءِ (الْأَرْضِ الْخَالِيَةِ) ؛
لَا وَتُهُ فِي يَتْنِي وَأَذْفَاتُهُ ، مُتَسَابِيَةً كُلَّ مَا أُسْلِفَ إِلَى مِنْ
أَذِيَةٍ وَإِيلَامٍ .

فَكَيْفَ بَيْنَ وَهَبَ لَكُمْ مُلْكَهُ الْعَظِيمَ ، وَتَفَنَّنَ فِي بَرِّكُمْ ،
وَلَمْ يَدْخِرْ أَىَّ وَسِيلَةٍ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِكُمْ ! أَهْكَذَا تَجْزِيَانِهِ ؟
أَيُّنَ أَهْلَاكُمْ الْعَذْبَةُ الْخَادِعَةُ ، الَّتِي كُنْتُمْ تُمَلِّقَانِهِ بِهَا يَوْمَ
دَعَاكُمْ لِإِسْخَامِ مُلْكِهِ ؟

لَقَدْ تَمَثَّلْتُ (تَخَيَّلْتُ) مِنْ فُنُونِ غَدْرِكُمْ صُورًا وَالْوَانَا لَا تُحْصَى ،

فَقَالَتْ « كَرْدِلِيَا » : « هَلْ عَرَفْتَنِي ، يَا مَوْلَايَ ؟ »

فَأَجَابَهَا : « أَنْتَ - بِلاَ شَكِّ - أَكْرَمُ رُوحٍ مَلَائِكِي رَأَيْتُهُ فِي حَيَاتِي ، فَخَبَّرَنِي بِرَبِّكَ - أَيُّهَا الرُّوحُ الطَّاهِرُ - فِي أَيِّ وَقْتٍ حَلَّتْ بِكَ الْوَفَاةُ ؟ »

١٦ - حِوَارُهُ مَعَ « كَرْدِلِيَا »

فَلَمْ تَنْتَسِرْ « كَرْدِلِيَا » مِنْ شِفَائِهِ ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ تَوَسُّيَةً ، وَتَلَاظَفُهُ ، وَتَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يُهْدِيَ مِنْ سُورَةِ نَفْسِهِ الْمَحْزُونَةِ .
فَقَالَ مَدْهُوْشًا :

« حَسْبُكَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِي ، حَسْبُكَ (كِفَاكَ) ! فَمَا أَدْرِي - مِمَّا يُحِيطُ بِي مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ - شَيْئًا ، وَمَا أَعْرِفُ أَيَّ تَوْبٍ هَذَا الَّذِي أُرْتَدِيهِ ؟ وَلَا أَدْرِي مَنْ الَّذِي أَلْبَسَنِيهِ ؟ وَلَوْ سَأَلْتُمُونِي - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - فِي أَيِّ مَكَانٍ أَنَا ؟ لَمَا عَرَفْتُ لِسَوَالِكُمْ جَوَابًا .
صَدَّقْ - أَيُّهَا الرُّوحُ الْكَرِيمُ - أَنَّنِي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ قَضَيْتُ يَوْمَ أَمْسٍ ؟ وَلَا أَدْرِي أَنَاثِمُ أَنَا ، أَمْ يَقْظَانُ ؟ ثُمَّ لَا أَدْرِي أَحْيَا أَنَا ،

وَلَكِنْ مَا تَكْشَفَ لِي مِنْ ضُرُوبِ الْقَسْوَةِ وَفُنُونِ الطَّمَعِ - مِنْكُمْ - قَدْ فَاقَ جَمِيعَ مَا تَمَثَّلْتُهُ ، وَأَرْبَى (زَادَ) عَلَى كُلِّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ خَيَالِي ، مِنْ أَفَانِينَ الْقُوقِ وَالْإِسَاءَةِ (أَصْنَافِهِمَا) . »

١٥ - يَقْظَةُ الشَّيْخِ

وَأَفَاقَ الشَّيْخُ « لِير » مِنْ سُبَاتِهِ الْعَمِيقِ ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِ بِنْتُهُ الْوَفِيَّةُ « كَرْدِلِيَا » تُحَيِّهِ قَائِلَةً :
« كَيْفَ أَصْبَحْتَ ، يَا صَاحِبَ الْجَلَالَةِ ؟ »
فَبَدَتْ الدَّفْهَشَةُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفْ : أَمَّا حُلْمُهُ هُوَ أَمْ فِي يَقْظَةٍ ، ثُمَّ قَالَ مَتَحِيرًا :
« لِمَاذَا بَعَثْتُمُونِي مِنَ الْمَوْتِ ؟ وَلِمَاذَا أَخْرَجْتُمُونِي مِنْ ظُلْمَةِ الْقَبْرِ ، بَعْدَ أَنْ أَرَاخُنِي مِنَ الْمَوْتِ مِنْ كَوَارِثِ الزَّمَنِ وَمَصَائِبِ الْحَيَاةِ ؟ »
ثُمَّ نَظَرَ إِلَى « كَرْدِلِيَا » مَدْهُوْلًا ، وَقَالَ : « وَأَنْتَ أَيُّهَا الرُّوحُ الْمَلَائِكِي الْخَنُونُ ، خَبَّرْتَنِي : مِنْ أَيِّ مَكَانٍ مِنْ عُثُلِ السَّمَاوَاتِ نَزَلْتَ ؟ وَكَيْفَ حَلَلْتَ هَذَا الْوَادِي ؟ وَلِأَيِّ غَايَةٍ جِئْتَ ؟ »

أَمْ مَيِّتٌ؟ وَلَوْ طَاوَعْتُ نَفْسِي، وَأَفْضَيْتُ بِمَا أَضْمِرُهُ، لَحَسِبْتُمُونِي
مَخْبُولًا أَوْ مَعْتُومًا! إِنِّي لَأَتَمَثَّلُ فِي هَذَا الرُّوحِ الْمَلَائِكِيِّ صُورَةَ
بِنْتِي الْوَفِيَّةِ «كَرْدِلِيَا». فَلَا يَسْخَرَنَّ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ أَحَدٌ؛ فَإِنِّي
أَعْتَقِدُ أَنَّي لَا أَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، كَمَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الرُّوحَ الْمَائِلَ
أَمَامِي هُوَ «كَرْدِلِيَا» بِنْتِي.

قَالَتْ «كَرْدِلِيَا» بَاكِئَةً:

«مَا أَصْدَقَ فِرَاسَتَكَ (إِصَابَةَ ظَنِّكَ)، وَأَصَحَّ رَأْيِكَ، أَيُّهَا
الْوَالِدُ الْكَرِيمُ!»

قَالَ لَهَا مُتَأَلِّمًا: «لِمَاذَا تَبَكَّيْنِ، أَيُّهَا الْبَارَةُ الْمُحْسِنَةُ؟ أَأَنْتِ
تَحْزَنِينَ لِمَا أَصَابَنِي، بَعْدَ أَنْ أَسْلَفْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْإِسَاءَةِ مَا أَسْلَفْتُ؟
أَكْذَلِكَ تَجْزِينِي إِحْسَانًا بِإِسَاءَةٍ، عَلَى حِينٍ قَدْ جَزَيْتَنِي أُخْثَاكَ
إِسَاءَةً بِإِحْسَانٍ؟ أَمَّا لَوْ أَنَّكَ أَنْكَرْتَنِي — كَمَا أَنْكَرْتَنِي أُخْثَاكَ —
لَكُنْتُ فِي سَعَةٍ مِنَ الْعُذْرِ»، قَالَتْ لَهُ:

«بِرَبِّكَ لَا تَسْتَسْلِمُ لِأَخْزَانِكَ — يَا أَبَتِ — فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْلَأُ
نَفْسِي هَمًّا وَلَوْعَةً. هَلَمْ يَا أَبَتِ، فَلْنَتَرَى إِلَّا مَا يَسُرُّكَ.»

١٧ — اعْتِذَارُ النَّادِمِ

قَالَ لَهَا: «لَقَدْ أَسَأْتُ إِلَيْكَ أَبْلَغَ إِسَاءَةٍ، وَمَا أَجْدَرَنِي أَنْ أَطْلُبَ
إِلَيْكَ الصَّفْحَ وَالْفُرَانَ (الْمُسَامَحَةَ وَالْمَغْفِرَةَ). فَتَجَاوِزِي (اصْفَحِي)
— أَيُّهَا الْكَرِيمَةُ — عَمَّا قَدَّمْتُ يَدَايَ.»

قَالَتْ لَهُ: «إِنِّي بِنْتُكَ الْمُؤْتَمِرَةُ بِأَمْرِكَ، الْمُلَبَّيَّةُ لِإِشَارَتِكَ،
فَلَا يَحْزُنُكَ شَيْءٌ بَعْدَ الْيَوْمِ. أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ إِلَّا خَادِمَةً وَفِيَّةً لَكَ
مَدَى الْحَيَاةِ.»

وَتَمَّ أَذْرَكَ الْمَلِكُ «لِير» — نَيْشًا (بَعْدَ قَوَاتِ الْوَقْتِ) — بِمِقْدَارِ
وَفَاءِ بِنْتِهِ «كَرْدِلِيَا»، وَعَرَفَ مَدَى خَطِيئِهِ حِينَ صَدَّقَ مَا كَانَتْ
تُرَوِّدُهُ بِنْتَاهُ، مِنْ كَاذِبِ اللَّفْظِ، وَخَائِلِ الثَّنَاءِ (خَادِعِ الْمَدْحِ).

٢ - الخبء الثلاثة

تتم الفوز للخبء الثلاثة ، أغني : « جبريل » و « ريجان »
ومستشارهما « إدمند » ، الذي قاد الجيش ، وأخزى النصر فكان ذلك
الفوز شراً - على أولئك العاديين - من كل هزيمة . وسطرى
- أيها القارئ العزيز - فيما بقي من حوادث القصة المحزنة وأنبأها
الرابعة (المخيفة) ، مصداق ما حدثت بك به (برهان صدقه) !

٣ - بين « ألباني » و « إدمند »

لقد حبب « إدمند » - حين تم له الفوز في تلك المعركة
الحاسمة (القاطعة) - أنه قد أدرك أربه (مطعمه) ، وظفر
بأمنيته في ارتقاء عرش المملكة ، بعد أن خلا الجو من كل
منافس له في الملك ، ولم يبق أمامه أحد يخشى بأسه غير الأمير
« ألباني » ، زوج « جبريل » . وكان ذلك الأمير طيب القلب ، فلم يرض عن شيء مما اقترفه

٧١
الفصل الخامس

١ - هزيمة « كردليا »

ما كان ليدور بخلد الملك « لير » - حين أصنى إلى تمليق بنتيه
الخادعتين ، وعق نصيحة وزيره المخلص « كشت » - أن أحداث
الدهر ومصائبه ستجتمع متوالية ، متألبة عليه ، للتكيل به ،
مسرفة في معاقبته على خطئه ؛ فلا تلوح بارقة (نور) من الأمل ،
حتى يعقبها ليل داج (شديد السواد) ، من اليأس المميت !
لقد اتقى الجيشان ، وكان الأمل مقوداً على نصره « كردليا » ،
وهزيمة جيش أختها الفادرتين ، واندحاره (انكساره) . ولكن شو
حظ الشيخ « لير » قد خيب هذا الأمل الباسم المشرق ؛ فانهزم
جيش « كردليا » أشنع هزيمة ، وانتصر عليه جيش « جبريل »
و « ريجان » ، وانتهت المعركة بأثر « كردليا » وأبيها ، وإيداعهما
السجن بعد أن غلب جيشهما على أمره .

(أَرْتَكَبُهُ) الْخُبَثَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالْآثَامِ (الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ) .
وَأَصْرَ الْأَمِيرِ « أَلْبَانِي » عَلَى إِطْلَاقِ سَرَّاحٍ « كُرْدِلِيَا » وَأَبِيهَا مِنْ
إِسَارِهَا ، كَمَا أَصْرَ « إِدْمُنْدُ » عَلَى حَبْسِهَا . وَدَارَتْ مُنَاقَشَةٌ عَنِيفَةٌ
بَيْنَهُمَا ، وَاتَّصَرَّتِ الْأُخْتَانِ لِمُسْتَشَارِهَا الْخَيْثِ . وَغَضِبَ الْأَمِيرُ
« أَلْبَانِي » ؛ فَدَعَاهُ لِلْمُبَارَاةِ (الْمُضَارَبَةِ بِالسَّيْفِ) .

٤ - بَيْنَ « إِدْمُنْدُ » وَ« إِدْجَارُ »

وَجَاءَ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - « إِدْجَارُ » : ابْنُ الْأَمِيرِ « جُلُسْتَر » ؛
فَدَعَا أَخَاهُ « إِدْمُنْدُ » إِلَى زِيَارَتِهِ (مُبَارَاةِ) قَائِلًا :
« هَلُمَّ أَتِيَا الْقَائِدَ الْعَظِيمَ ، فَامْتَشِقُ حُسَامَكَ (اشْهَرِ سَيْفَكَ) ،
وَاكْتُبْ آخِرَ صَفْحَةٍ فِي تَارِيخِ حَيَاتِكَ الْمَمْلُوءَةِ بِالشُّرُورِ وَالْأَرْجَاسِ
(الْخَطَايَا) وَالذَّنَايَا . هَلُمَّ فَانْتَقِمْ لِشَرَفِكَ مِنْ يَرْمِيكَ بِكُلِّ مُخْزِيَةٍ ،
وَنَتِهْمُكَ بِكُلِّ تَقْصِيصَةٍ . هَلُمَّ إِلَى : فَرَوْ (اسْقِ) رُمَحَكَ مِنْ دَمِي
إِنْ اسْتَطَعْتَ ، لَعَلَّكَ تَفِيلُ مَا لَحِقَكَ مِنَ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَوَّثَتْ بِهَا
شَرَفَكَ الرَّفِيعَ . فَإِنْ عَجَزْتَ عَنْ ذَلِكَ ، فَلَنْ يُعْجِزَنِي قَتْلُكَ ! »

فَصَاحَ فِيهِ « إِدْمُنْدُ » : « إِنَّمَا جَاءَ بِكَ إِلَى حَيْنِكَ (انْقِضَاءِ
أَجَلِكَ) . وَلَنْ جَهِلْتُ مَنْ أَنْتَ ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ سَاقَتُهُ
حِمَاقَتُهُ إِلَى الرَّدَى ، وَأَسْلَمَهُ أَجَلُهُ إِلَى الْهَلَاكِ . وَإِنْ سَيَفِي هَذَا
لَكَفِيلٌ بِتَأْدِيبِ أَمْثَالِكَ ، وَالتَّنْكِيلِ بِكَ ، وَجَعَلَكَ عِبْرَةً لِكُلِّ
مَنْ يَعْتَبِرُ . »

وَمَا أَتَمَّ وَعِيدَهُ حَتَّى بَدَأَ هُجُومَهُ عَلَى مُنَازِلِهِ (خَصْمِهِ) ،
وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمَا ، وَأَشْتَدَّ صِرَاعُهُمَا ، وَسُرْعَانَ مَا عَاجَلَهُ
« إِدْجَارُ » بِطَعْنَةٍ قَاتِلَةٍ ؛ فَهَوَى « إِدْمُنْدُ » إِلَى الْأَرْضِ مُجَدَّلاً
(صَرِيحًا) ، يَتَعَثَّرُ (يَتَخَبَّطُ) فِي دَمِهِ . وَأُسْتُوْلِيَ الدَّهْشُ عَلَى الْحَاضِرِينَ ،
وَعَقَدَ الذُّهُولُ أَلْسِنَتَهُمْ ؛ فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَفْعَلُونَ .

٥ - مَصَارِعُ الْخُبَثَاءِ الثَّلَاثَةِ

وَلَمَّا سَقَطَ « إِدْمُنْدُ » ، صَاحَتْ « رِيْجَانُ » مُفْرَعَةً ، تَتَلَوَّى
مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهَا ؛ فَوَقَعَتْ - مِنْ فَوْرِهَا -
جُنَّةً هَامِدَةً .

أَتَدْرِي - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ - بَأَيِّ شَيْءٍ قُتِلَتْ « رِيحَانُ » ؟
بِالسَّمِّ قَتَلَتْهَا « جُنْرِيلُ » ؛ لَتَسْتَأْثِرَ بِالْمَلِكِ وَحَدَهَا ! وَلَكِنْ أَمَلَهَا
قَدْ خَابَ ، حِينَ رَأَتْ قُوَّةَ « إِدْجَارَ » ، وَانْتِصَارَهُ عَلَى مُسْتَشَارِهَا
« إِدْمُنْدُ » ، الَّذِي نَاطَتْ (عَلَقَتْ) بِهِ كُلَّ آمَالِهَا فِي التَّفَرُّدِ بِالْمَلِكِ ،
وَالِاسْتِثْنَاءِ بِالسُّلْطَانِ ؛ فَعَاجَلَتْ نَفْسَهَا بِطَعْنَةِ قَاتِلَةٍ ، أَوْدَتْ بِهَا
(أَهْلَكَتْهَا) ، وَمَضَتْ بِرُوحِهَا إِلَى الْجَحِيمِ .

وَرَأَى « إِدْمُنْدُ » أَنْ كُلَّ مَا بَنَاهُ - بِالْعَدْرِ وَالْعُقُوقِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى
أَقْرَبِ النَّاسِ وَأَبْرَرِهِمْ بِهِ - قَدْ انْهَارَ (سَقَطَ) أَمَامَهُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ؛
فَصَاحَ مُسْتَعْظِظًا قَاتِلَهُ :

« خَبَّرَنِي بِرَبِّكَ : مَنْ أَنْتَ ؛ لِأَعْرِفَ اسْمَ مَنْ كُتِبَ عَلَى يَدَيْهِ
مَضْرَعِي ؟ »

فَاجَابَهُ « إِدْجَارُ » :
« أَنَا ابْنُ مَنْ كَافَأَتْ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ ، وَبَرَّهَ بِكَ ، وَتَرَبَّيْتَهُ
إِيَّاكَ ، أَقْبَحَ مُكَافَأَةٍ . أَنَا ابْنُ الْأَمِيرِ « جُلْشَرِ » ، الَّذِي تَبَنَّاكَ ؛
فَأَغْرَيْتَ بِهِ أَعْدَاءَهُ ، وَمَكَّنْتَ لَهُمْ مِنَ التَّنْكِيلِ بِهِ ؛ حَتَّى خَرِمُوهُ

نُورَ عَيْنَيْهِ . وَقَدْ مَاتَ - مُنْذُ دَقَائِقَ - مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى مِنَ
الْمَصَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ .

٦ - تَوْبَةُ الْهَالِكِ

فَصَاحَ « إِدْمُنْدُ » مُتَفَجِّعًا :

« مَا أَصْدَقَ مَا فَاهَتْ بِهِ شَفَتَاكَ ! لَقَدْ حَقَّ عَلَى الشَّقَاءِ ، وَلَقِيتُ
مَا أَنَا أَهْلُهُ لَهُ مِنَ التَّنْكِيلِ وَالْجَزَاءِ ، وَحَاقَتْ عَلَى اللَّعْنَةِ إِلَى الْأَبَدِ .
وَلَكِنِّي أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ ضَارِعًا أَنْ تُسْرِعَ بِنَجْدَةٍ « لِير » وَبِنْتِهِ
« كُرْدِلِيَا » ؛ فَقَدْ أَصْدَرْتُ أَمْرِي بِقَتْلِهِمَا فِي سِجْنِهِمَا خُلْسَةً (خُفْيَةً) ،
قَبْلَ أَنْ أَشْتَبِكَ مَعَكَ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الْقَاضِيَةِ : لَعَلِّي أُكْفِرُ
- بِإِنْقَاذِهَا - عَنْ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِمَّا اقْتَرَفْتُ مِنَ الْخَطَايَا وَالْآثَامِ الْمُؤَبِقَةِ
(الْمُهْلِكَةِ) ! هَلُمَّ فَأَنْقِذْهُمَا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِهِمَا الْهَلَاكُ . »

ثُمَّ أُنْعِمَى عَلَيْهِ ، وَأُسْلِمَتْهُ جِرَاحُهُ إِلَى الرَّدَى (الْمَوْتِ) ؛ فَقَضَى
مُشِيعًا (مُودِّعًا) بِاللَّعْنَاتِ ، كَمَا شِيعَتْ « جُنْرِيلُ » وَ « رِيحَانُ » .

٧ - مَصْرَعُ « كُرْدِلْيَا »

وَلَقَدْ بَذَلَ الْحَاضِرُونَ كُلٌّ مَا فِي مَقْدُورِهِمْ ، فَأَسْرَعُوا لِإِقْظَافِ
الْأَسِيرِينَ . وَلَكِنْ سُرِعَتْهُمْ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فِي إِقْظَافِ « كُرْدِلْيَا »
الطَّاهِرَةِ الْقَلْبِ ، الزَّكِيَّةِ النَّفْسِ ؛ فَقَدْ نَقَذَ سَهْمُ الْقَضَاءِ - وَلَا مَرَدَّ
لَهُ - وَلَقِيتُ حَتْفَهَا (هَلَاكَهَا) مَصْلُوبَةً فِي السَّجَنِ ، قَبْلَ أَنْ
تُدْرِكَهَا أَيْدِي الرُّحَمَاءِ الْمُنْقِذِينَ

...

وَاسْتَوَى الذُّعْرُ وَالْخَبَالُ عَلَى الشَّيْخِ « لِير » ، حِينَ رَأَى مَا حَلَّ
بَابْنَتِهِ الْوَفِيَّةِ ، الَّتِي لَقِيتُ حَتْفَهَا فِي سَبِيلِ نَصْرَتِهِ ؛ فَحَمَلَ جُثَّتَهَا بَيْنَ
ذِرَاعَيْهِ ، وَهُوَ يُصَيِّحُ مُغَوِّثًا ، نَادِبًا :
« إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْبَاكُونَ ! إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْمُعْوِلُونَ (الصَّائِحُونَ بِالْبُكَاءِ) !
إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْحِجَارَةُ وَالصُّخُورُ الَّتِي سُمِّيَتْ أَنْاسِي (بَنِي آدَمَ) ! إِلَيَّ ،
فَاْمُرُّوا بِدُمُوعِي دُمُوعَكُمْ ، وَصَيِّحُوا مَعِيَ كَمَا أُصَيِّحُ ، وَأَعُولُوا نَادِبِينَ
حَتَّى تَنْفِطَرَ (تَنْشَقَّ) السَّمَاءُ عَلَيْنَا حُزْنًا وَالْمَاءُ !



« لَقَدْ مَاتَتْ ، وَعَجَزْتُمْ عَنْ إِنْقَازِهَا جَمِيعًا ! فَمَا فَائِدَةُ الْحَيَاةِ
بَعْدَهَا ؟ وَاحْسَرْنَا عَلَى شَبَابِهَا النَّاصِر ! مَا كَانَ أَغْدَبَ صَوْتَهَا الرَّقِيق !
وَمَا كَانَ أَطْيَبَ قَلْبَهَا الشَّفِيق ! أَرَأَيْتُمْ أَزْكَى (أَطْهَرَ) مِنْهَا نَفْسًا ،
وَأَكْرَمَ خُلُقًا ؟ فَكَيْفَ امْتَدَّتْ إِلَى عُنُقِكَ يَدُ الْجَانِي الْأَيْم ! فَأَقْدَمَ
عَلَى صُلْبِكَ ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُ - فِي شَبَابِكَ - رَحْمَةٌ ؟
لَقَدْ صَرَغْتَ قَاتِلَكَ بِالسَّيْفِ ، وَمَا تَشَفَّيْتُ مِنْ غَيْظِي ، وَلَا
بَرَدْتُ بِذَلِكَ غَلِيلِي (لَمْ أَشْفِ حَرَارَةَ حُرْنِي وَحِقْدِي) !
يَا لَهُمْ مِنْ أَثْمَةٍ طُغَاةٍ (مُجْرِمِينَ مُعْتَدِينَ) ! لَقَدْ خَنَقُوا « الْبُهْلُول »
فِي السَّجْنِ ، وَأَهْلَكُوهُ جَزَاءَ وَفَائِهِ لِي !
الْوَيْلُ لِلْجَانِيَيْنِ ! وَالْوَيْلُ لِلسَّفَّاحِينَ (الَّذِينَ أَسَالُوا الدَّمَاءَ) ! لَقَدْ
تَرَكَوا الْجُرْذَانَ (الْفِيرَانَ) وَغَيْرَهَا مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ ، دُونَ أَنْ يَنْتَزِعُوا
أَرْوَاحَهَا مِنْهَا . وَلَكِنَّهُمْ ضَنُّوا (بَخِلُوا) عَلَى « كُرْدِلِيَا » الْوَفِيِّ
الْمُخْلِصَةِ بِالْحَيَاةِ الَّتِي تَنْعَمُ بِهَا الْخَيْلُ وَالْكِلَابُ ! »

لَقَدْ مَاتَتْ ! أَلَا تُصَدِّقُونَ ؟
وَيْ ! هَلَكْتَ ! أَمْكَدْ بِي أَنْتُمْ ؟
أَنَا لَا أَجْهَلُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَالْحَيِّ ! إِنَّهَا لَا تَنْبِسُ بِنْتِ
شَفَةِ (لَا تَلْفِظُ بِحَرْفٍ) ! لَقَدْ هَمَدَتْ ، فَمَا تُحِسُّ شَيْئًا ! هَاتُوا
مِرَآةً فَأَدْنُوها مِنْ فَمِهَا ؛ فَإِنْ طَبَعَتْ عَلَيْهَا نَفْسًا مِنْ أَتْقَاسِهَا ،
فَلَا تَشْقُوا بِي !
آه ! لَوْ بَقِيتُ سَالِمَةً إِلَى جَانِبِي ! إِذَنْ غَفَرْتُ كُلَّ مَا حَلَّ بِي مِنْ
أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ !
إِذَنْ أَنْتَنِي السَّعَادَةُ - بِحَيَاتِهَا - كُلَّ مَا غَمَّرَنِي (مَا شَمَلَنِي)
مِنْ أَسْوَءِ (مَصَائِبِ) وَأَحْزَانٍ !

٨ - لَوْعَةُ النَّاِكِلِ

وَحَاوَلَ خُلَصَاوُهُ وَأَصْفِيَاوُهُ (أَصْدِقَاوُهُ الْمُخْلِصُونَ) : « كُنْتُ »
و « إِدْجَار » و « أَلْبَانِي » جَمِيعًا أَنْ يَهْوُونَا عَلَيْهِ مِنْ مُصَابِهِ وَفَجِيعَتِهِ ؛
فَصَبَّحَ فِيهِمْ مُعْوِلًا ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الذُّهُولُ :

مكتبة الكيلاني

مجموعاتها : تسائر التلميذ في نحو مائة وخمسين قصة ، رائعة الصور ، بديعة الإخراج ، متدرجة به من رياض الأطفال إلى ختام التعليم الثانوي . ثم نُسلّمه إلى مكتبة الكيلاني للشباب .
مادتها : تقوم الخلق ، وتربّي الذهن ، وتعلّم الأدب .
فنها : يشوق القارئ ويمتعه ، ويحبّ الكتاب إليه .
لغتها : تسمي ملكة التعبير ، وتطبع اللسان على فصيح البيان .
تورده رشيدة ، أجمع على تأييدها وزراء المعارف ورُعاة التعليم وقادة الرأي في الشرق ، وكبار المستشرقين وأعلام التربية في الغرب .
أول مكتبة عربية عيّنت بنشئة الطفل على أحدث أسس التربية الصحيحة . توالى طبعاتها العربية ؛ فتشغف بها الجيل الجديد في بلاد العروبة ، ولم يخل منها بيت عربي .

ترجمت إلى أكثر اللغات الشرقية وبعض اللغات الغربية .
مدرسة حرة ، إذا عرفها التلميذ ، سعى إليها بلا ترغيب ولا ترهيب .
كانت أكبر أمنية للآباء ، وهي اليوم أشهى غذاء ثقافي للأبناء .

٩ - خاتمة « لير »

وهكذا استسلم الملك « لير » الحزين الشاكل (الذي فقد ولده)
لآلامه . وما زال يهذي حتى أسلمه هذيانه إلى الجنون ، واسودت الدنيا
في عينيه ، وغمرت الأحزان قلبه ؛ فأظلم ، ثم أغشى عليه .
وأفاق لحظة قصيرة ، فالتفت إلى وزيره المخلص قائلاً :
« كنت : لقد عرفتك ! »

« كُردلنا » : لقد قدّتك إلى الأبد !
ثم أغشى عليه ثانية ، وأسلمته أخزانه إلى الردى ... فمات !

انتهت القصة